لمحات وإضاءات من صفحات جمهورية قبردينا بلقاريا

مقدمة: هذه مختارات من نص مختصر عن النص الأصلي والنصين معتمدين من قبل إدارة متحف نالشيك, شارك في وضعه عدد من الإخصائيين, يعمل في المتحف عدد من الأدلاء السياحيين المتحدثين باللغات الشركسية والبلقرية والروسية والتركية والإنكليزية إضافة الى العربية التي إدرجت مؤخراً. أنشىء المتحف في نيسان 1921 ويحتوي على 7 صالات للمعروضات وقاعة عرض

أنجزت ترجمة النص المختصر من اللغة الروسية للعربية في شهر تموز 2014 من قبل شوكت الشركس

تاريخ نشوء القفقاس وتاريخ شعوب جمهورية قبردينا بلقاريا وعالم الحيوان والنبات فيها

تقع جمهورية قباردينا بلقاريا على خط تلاقي أوروبا[1] مع آسيا في قلب المنطقة الأكثر ارتفاعاً من جبال القفقاس الكبير. تبلغ مساحة جمهورية قباردينا بلقاريا 12.05 ألف كم مربع .

وتمتد حدودها لمسافة 696 كم . يحدها من الشمال ستاڤروپولسكي كراي[2] ومن الشرق والجنوب الشرقي أوسيتيا الشمالية (آلانيا) أما من الجنوب فتحدها جمهورية جورجيا والتي تعتبر بنفس الوقت كحدوداً دولية لروسيا الإتحادية معهما، أما من الغرب تحدها جمهورية قراشاي شركسيا.

تقسم كامل أراضي جمهورية قباردينا بلقاريا حسب التضاريس إلى 3 أقسام متميزة: السهول 33% و المرتفعات 16% والجبلية 51%.

تقع أخفض نقطة عند مدينة پراخلادني 170 م فوق سطح البحر.أما العاصمة نالشيك فتقع على ارتفاع 550م فوق سطح البحر، و أعلى نقطة هي قمة ألبروس الغربية (5642) متر فوق سطح البحر.

مع أن ألبروس يعتبر من البراكين الخامدة،،لكن نشاطه البركاني لم يتوقف بعد. ويشهد على ذلك إنبعاث الغازات البركانية من قعر القمع البركاني بجانب القمة. حيث لا يوجد غطاء ثلجي فيه وتصل درجة الحرارة الى +18 درجة مئوية. وتعتبر منطقة الألبروس مركزاً سياحياً عالمياً ومركزاً للرياضة الألپية ,التزلج على الثلج.

من منحدرات الألبروس ينحدر 23 نهراً جليدياً كبيراً: تيرسكول ، آزاو ... .

إن مصدر تغذية معظم أنهر الجمهورية تاتي من ذوبان الجليد . مثل نهر مالكا (وهو أطول الأنهر ويصل طول مجراه الى 210 كم)، بخسان، چيريك، چيگم، أوروخ وغيرهم. وأعلى منسوب لها يحصل عند ذوبان الثلوج والجليد. وهناك أيضاً أنهار تتغذى من الينابيع ومياه الأمطار. وعند الهطولات المطرية الشديدة يرتفع منسوبها بحدة. وتوجد أنهار تتغذى من ترشيحات التربة المشبعة بالماء. يوجد على أراضي جمهورية قباردينا بلقاريا حوالي 100 مصدر للمياه المعدنية، وتقسم الى 4 مجموعات: حامضية كربونية، سليكونية، كبريتية ومياه بدون محتويات محددة. وكذلك تتواجد أكثر من 100 بحيرة ومع ذلك لايمكن إعتبار جمهورية قباردينا بلقاريا منطقة بحيرات. وأغلب هذه البحيرات تتوضع على الجبال العالية. وأشهرها البحيرات الزرقاء. وهي مجموعة من 5 بحيرات وأعمقها بحيرة چيريك-كيل، المتوضعة على ارتفاع 805 متر فوق سطح البحر. وهي أعمق بحيرة متكهفة في البلد وبعمق 254 متر، ودرجة حرارة المياه على السطح 11.8 درجة مئوية ، وأن إحتوائها على جذر حمض الكبريت يعطيها هذا اللون الأزرق ورائحتها المميزة. واسمها يعني باللغة البلقرية البحيرة الفاسدة أو النتنة. لا يصب في البحيرة أي نهر. أعشابها المائية خضراء وخضراء مشوبة بالأزرق. يعيش فيها أنواع من ديدان العلق والغمّار (صرصارالماء-من القشريات) والسرطانات.

على الحدود مع منطقة ستاڤروپولسكي كراي توجد بحيرة تامبوكان وهي فريدة من نوعها حيث ترسب على قعرها الطمي الحاوي على أنواع عديدة من المعادن. وطين هذه البحيرة مشهور جداً ويستخدم على نطاق واسع في معالجة الأمراض منها أمراض المفاصل والأقدام ،الجهاز العصبي ، وجهاز الهضم وغيرها . في مصحات مدن كاڤمينيڤود و نالشيك. وقد تم إعتبار بحيرة تامبوكان موقعاً طبيعياً تراثياً على مستوى روسيا الاتحادية. وشلالات چيگم المتجمدة في الشتاء أما في الصيف فتتساقط المياه اللعوب من وعلى البروزات الصخرية متناثرةً مشكلةً رذاذٌ ناعمٌ بلون أشجار البتولا من تاثير أملاح الكالسيوم.

<u>كيف *تشكل* القفقاس</u>

في الأزمنة السحيقة لم يكن شمال القفقاس موجوداً ولا ما وراء القفقاس كذلك. كان يتواجد هنا بحر عظيم، يسميه العلماء تيتيس.

---

[1] استخدمت في الترجمة أربعة أحرف غير موجودة في اللغة العربية هي ڤ (в), پ (п), چ (ч), گ (г) من أجل الإقتراب أكثر ما يمكن من لفظ أسماء العلم الروسية

[2] منطقة ستاڤروپول-المترجم

ففي الحقبة الپاليوزوبية ومن خلال عملية تشكل الجبال في هذه المنطقة، برزت اليابسة من بحر تيتيس مشكلة جزيرة. وفي نهاية هذه الحقبة غمرت مياه البحر هذه الجزيرة مجدداً. ومع بدايات الحقبة الميزوزوبية أرتفع القفقاس من جديد فوق سطح البحر على شكل جزيرة.

بنتيجة التشكلات الجيولوجية العنيفة في الحقبة الكاينوزوية (الحديثة) تحول القفقاس من جزيرة الى شبه جزيرة متصلاً مع آسيا الصغرى. أخذ شكله الحالي فقط في الدور الجيولوجي الرابع. وفي نهاية الدور الرابع ومع هيمنة الظروف المناخية السيئة تحمل القفقاس عدة عصور جليدية. التي انتهت منذ 20 ألف سنة. توجد آثار هذه العصور الجليدية في عدة طبقات جيولوجية في مناطق مختلفة بالجمهورية.

بنتيجة كل هذه التغيرات أصبحت جمهوريتنا غنية بالفلزات المعدنية.

أضخم منجم للمعدنين النادرين الڤولفرام[3] و المولوبدينيوم يقع في حزام خامات منطقة تيرنياآوز، منطقة فوالق تكتونية للقشرة الأرضية.

أما المقالع الموجود على السطح للغرانيت والرمل و الخفان والجبصين والمرمر والحجر المسامي كلها تعتبر مواد بناء هامة. أما السهول فهي بمعظمها طينية وتحوي على مواد بناء هامة في 14 موقعاً موزعة في مناطق منها پراخلادني، آلتود، مايسكيي، أرڤان، شالوشسكيي وغيرهم. وهذا الطين هومصدر المواد الأساسية لتصنيع القرميد والبلوك والبلاط والسيراميك .

ويحوز الطين الحاوي على مادة الفلور المسمى بالنالتشيكي (الحشوة الطينية) مراتب عالية في سلم أغنى المواد الأولية الداخلة في الصناعة. وهي من الفلزات الطرية ذات اللون الرصاصي والرصاصي المشوب بالأخضر. وأهم استخدام لهذا الطين أنه يدخل في تركيب المواد الخام لمعالجة النفط . ويستخدم في تنقية المشتقات النفطية من الشوائب وكذلك يدخل في صناعة الزيوت المعدنية المستخدمة ضمن المحولات الكهربائية والتوربينات. ويستخدم (الطين) النالتشيكي في الصناعات الغذائية لتنقية الزيوت النباتية: زيت بذور دوار الشمس والقطن والخشخاش والكتان.

الوقود: يتواجد الفحم الحجري واللجنيت[4] والنفط والغاز ولكنه لم تجر بعد أعمال الحفر الإستكشافي بغرض الاستثمار التجاري-الصناعي.

على أراضي الجمهورية القليلة يتواجد 23 نوعاً من التربة تضم 389 صنفاً. وأكثرها قيمةً هي التربة السوداء.

ينتشرعلى أراض الجمهورية عالم متنوع من النباتات تشكل بمجملها 3300 نوعاً من النبات. تغطي الغابات مساحة 180 ألف هكتار. 90% منها تتواجد على المناطق الجبلية. أنواع الأشجار المحلية: الزان و الدلب والدلب الشرقي - وهي سلالة محلية (تنمو هنا فقط في جمهوريتنا) يصل قطر الساق حتى 2 متروتعيش قرابة 600 سنة. وتستخدم أخشابها في بناء السفن والموبيليا وصناعات الأخشاب.

ينمو في الغابات العديد من النباتات الطبية وأشهرها النبق والفريزالبري وغيرهما. في الغطاء الأخضر لجمهوريتنا تحتل الفطور مكانة هامة. منها الصالح للطعام وكذلك غير الصالحة للأكل. أحد أكثر الفطور سمية هي كأس الموت (پاگونكا الشاحبة- أو الغطاس الشاحب) .

ينمو هنا أكثر من 20 نوعاً من الأشجار البرية المثمرة . وبفضل نشاطات علماء المركز التجريبي في نالشيك على الأشجار والنباتات البرية تم استنباط انواع جديدة من الفواكه والخضروات.

تلقى أنواع النباتات التي تستخدم في إنتاج الأعلاف إهتماماً كبيراً. ويعتبر مركز الأعلاف أحد أعمدة الثروة الحيوانية. تبلغ مساحة المزارع المخصصة لتربية الحيوانات 314 ألف هكتار، وأماكن جز الأعشاب للعلف 101 ألف هكتار. ولا يجوز استخدام نفس المكان للجز الدائم للأعشاب. حيث تستبدل أماكن جز الأعشاب بإستمرار بسبب نمو الأعشاب الضارة (زڤيروبوي وغيرها) وبعضها سام فإذا أكل منها الماعز ضمن علفه يصاب بحساسية مفرطة بجلده وتظهر لديه أمراض تؤدي لموته.

تعتبر الطحالب مؤشراً على نقاوة الهواء وكذلك أشجار الصنوبر المثمر.

سڤخوز[5] ديكوراتيڤنيه كولتوري (المزرعة الحكومية لنباتات الزينة) التي تأسست عام 1933 م قدمت مبادرات لجمهورية روسيا الإتحادية لإكثار النباتات صناعياً وتصميمات حدائق زينة بشجيرات لا جذوع لها ومحاصيل من الأزاهير.

---

[3] ويسمى كذلك التنغستين-المترجم-

[4] فحم خشب متحجر-المترجم-

أشجار السرو ذات اللون السماوي. ففي جمهوريتنا قام بإنتاج هذا الصنف حامل لقب الإستحقاق العلمي في جمهورية قباردينا بلقاريا إيڤان پورفيريڤيتش كوڤتونينقوه. و كندا هي الموطن الأصلي لأشجار السرو ذات اللون السماوي. تعيش هذه الأشجار في كندا منذ 600 سنة أما لدينا فمنذ 50 سنة .وقد تعلم إكثارها عن طريق البذار، علماً أن هذه البذور تؤخذ فقط من الأكواز العليا في الشجرة، وكذلك قام بإستنباط أنواع جديدة من الزهور.

قام يوري كوسوم بتأسيس المزرعة التجريبية بمساحة 70 هكتار. يتم فيها إكثار 958 نوع من الأشجار وأكثر من 1000 نوع من الأعشاب. ومهمة هذه المزرعة التجريبية المحافظة على الغطاء النباتي الفريد من نوعه في جمهورية قباردينا بلقاريا . والنباتات المقتصر انتشارها فقط في القفقاس أو في جمهورية قباردينا بلقاريا. وهي السلالات المحلية التي ظهرت في الحقب الرابع ولم تتغير حتى يومنا هذا منها الذرة والحنطة والقنب

تتميز الطبيعة في جمهورية قباردينا بلقاريا بتنوعها وليس فقط غطائها النباتي بل والحيواني كذلك. وكون معظم أراضي الجمهورية تقع على إرتفاعات متباينة لذا فلكل منطقة جغرافية تعيش فيها حيوانات خاصة بها.

منطقة سهوب جمهورية قباردينا بلقاريا هي أخفض مناطقها السهلية 170-400 متر فوق سطح البحر. ومع ازدياد إرتفاع الأماكن ينخفض مستوى جفاف السهول.في الوقت الراهن أدخلت تقريباً كافة المناطق المستوية في الجمهورية في الإنتاج الزراعي. وهي مناطق زراعية واسعة. وعملياً لم تعد تتواجد النباتات البرية. إن الإنتقال من طرق الزراعة الطبيعية الى الزراعة الحديثة أحدث تغييراً في أنواع وأعداد الحيوانات في المنطقة. وكذلك في نمط معيشتها... الخ . أكثرالحيوانات انتشاراً هي فصيلة القوارض: فأر البتولا الحقلي، الجربوع الكبير،الخلد العادي، الخلد القزم، الهامستر(أبو جراب) القزم الرمادي، الهامسترالعادي، فأر الحقل، وحيوانات مفترسة قليلة العدد: كلب الراكون، الثعلب العادي، ابن عرس، المنك الأوروبي، وظربان السهوب. وتتواجد كثير من الزواحف : سحلية البراري، سحلية الرمال، الثعابين ومنها الثعبان ذو البطن الأصفر، أفعى السهوب. وكذلك عديد من الطيور: السمّان، الشورى الذهبي وغيرهما.

حزام الأحراش

تقع أحزمة الغابات على إرتفاعات (من 300 إلى 700 متر فوق مستوى البحر) وتحتل منطقة السفوح الجبلية. حيث حافظت النباتات الطبيعة على نفسها. تحوي الغابات الكثيفة الواسعة على تشكيلة غنية من الأشجار والشجيرات البرية المثمرة، التفاح، الأجاص، الخوخ، الكرز، القرانيا، الزعرور، توت العليق البري وغيرهم. كما تنمو هنا أشجار السنديان والبلوط تختلف أنواع الحيوانات في مناطق أحزمة الغابات (المناطق المشتركة بين الغابات والسهوب) عنها في منطقة السهوب. ويفسر هذا بأن منطقة أطراف الغابات تحددها ارتفاعات السفوح المتدرجة وتجاور المناطق البرية مع الغابات الكثيفة. تشكل أنواع حيوانات السهوب نواة عالم الحيوان في هذه المنطقة: القنفذ ذو الصدر الأبيض، فأر الحقل، الهامستر القزم الرمادي، الأرنب والثعلب العادي وهناك أنواع خاصة تعيش في هذه المناطق : فأر الغابة، وفأر الأماكن المغمورة بالمياه، والفأر الضئيل وغيرهم. المنك الأوروبي وهو حيوان بري من ذوات الفرو وفروه ثمين وهو من عائلة ابن عرس. ويعيش في المناطق المأهولة على ضفاف الأنهار وغيرها من الخزانات المائية. يقطن هذه المناطق بين الغابة والبرية أنواع عديدة من الطيور: الصرد، الشحرور، نقار الخشب، الوقواق، الحمام. الشحرور الأسود يتواجد بكثرة بين الخميلات الصغيرة والشجيرات النامية في سفوح الجبال، ويقتات على الديدان والقواقع والحشرات وله صوت عذب.

يعتبر الخنزير البري خير ممثل لهذه المناطق الحدودية بين الغابة والسهوب، فهو سيد الغابة، مسلحاً بأنيابه المميزة ويبدو وكأنه محارب خطير. وبالمقارنة مع الحيوانات المشاركة له في منطقته فليس لديه متطلبات خاصة ويتحمل بسهولة تقلبات الشتاء. يمكن أن يصل وزنه الى قنطارين (200 كغ تقريباً). وفي غاباتنا يجد الخنزير البري مرتعاً جيداً للأكل وظروفاً مناسبة للحماية. تتغذى هذه الخنازير على ثمار الدلب والبلوط والسنديان وثمار الأشجار الأخرى. في الصيف تقوم بالإغارة على المحاصيل الزراعية في المزارع القريبة، تأكل الدرنات وجذور وسيقان المزروعات، وتتغذى كذلك على الديدان والحشرات والقوارض حارثتاً التربة خلال بحثها عن الطعام. وفي شهر تشرين الثاني / نوفمبر/ يبدأ موسم التزاوج وفي شهري نيسان - أيار /ابريل - مايو/ تضع الأنثى بين 4 الى 5 جراء.

الغابات النفضية

الغابات النفضية (تقع على إرتفاعات من 500 الى 1500 متر فوق سطح البحر) تحل محل المنطقة المجاورة بين الغابات والبراري فالغطاء النباتي هنا لا يتميز لا بكثافته ولا بتنوعه. ونشاهد هنا بشكل أساسي السرخس وأشكال من الطحالب. تنموا هنا أعداد كبيرة من شجر الزان، الدلب، النير، القيقب، شجرالرماد، الزيزفون، ألدر... الخ.

---

[5] "مزرعة حكومية" تسمية من فترة الحكم السوفيتي وعادة لاتترجم من الروسية لشهرتها -المترجم

الوشق وهو أكبر من هر الغابات، أرجله أطول وذنبه قصير وعلى جوانب قرموطة أذنيه توجد شعيرات. عادة يعيش في الغابات الكثيفة والشجيرات وفي المناطق صعبة الأجتيازعلى مجاري أنهار الغابات. يطارد هذا الوحش فريسته عند الغسق وليلاً. وجلده ثمين. يطارد الوشق والقط البري فرائسهما من الشامواه عند السفوح والمروج الألبية وغالباً ما تقع في طريقهم الأرانب البرية والثعالب والغرير فيصطادونها.

الأحزمة تحت الألبية (1400- 2700 متر فوق سطح البحر) غنية بالأعلاف العشبية. يبلغ ارتفاع الأعشاب (وهي ممددة) 70 سم. يعتبر الرو (الكوسوليا) وهي أصغر سلالة بين أنواع الغزلان ، والرو حيوان لطيف ورشيق. ويتآلف بسهولة مع البشر.

ويشاهد في الجمهورية كذلك أكبر ممثلي الغزلان، الغزال القفقاسي الأصيل. ففي نهاية القرن التاسع عشر كان هذا الغزال على وشك الإنقراض. بدأت إعادة تأهيل الغزال الأصيل في الجمهورية عام 1957. وبلغت أعداد هذا الغزال بحدود 400 فرد. ويعيش على أراضي مؤسسة نالشيك للصيد في الغابات وكذلك خارج هذه الأراضي.

الحزام الألبي

أعلى حزام ألبي (2500-3200) م فوق سطح البحر. هذا حزام جبالنا المغطى بالجليد والثلوج. هنا يكون الطقس وبشكل واضح أكثر برودة. يبلغ ارتفاع الأعشاب (وهي ممددة) من 8 إلى 15 سم . يعيش في الجبال «الأولار» وهو ديك رومي جبلي، والدجاج الجبلي والحجل وهو متوطن في القفقاس وكذلك يعيش هنا الماعز الجبلي، وهو ماعز ضخم ذو بنية مكتنزة وقوائم قوية ويعيش في غياهب منحدرات الوديان السحيقة والجروف الجبلية، وهو متواضع في غذائه: في الشتاء يتغذى على بقايا الأعشاب والأشواك الجافة، ولديه إحساس عالٍ بالتوازن وله أظلاف مناسبة للتسلق مما يجعله متسلق منحدرات وجروف ممتاز.

فزّاعة الطيور

إن النسورهي أكبر الطيور في جمهورية قباردينا بلقاريا وخاصة النسر الأسود (گريف) والنسر ذو الرأس الأبيض (سيپ) حيث يبلغ امتداد الجناحين لدى النسر الأسود إلى 3 متر والنسر ذو الرأس الأبيض إلى 2.5 متر. القوائم قصيرة والمخالب غير حادة مع تقوس خفيف. الرقبة عارية، مع "طوق" يحمي الريش من الإتساخ. تتغذى على الجيف. وهذه الطيور شرهة. تأكل على فترات متباعدة. ولكن عندما تأكل فإنها تأكل بكل معنى الكلمة (حتى الشبع). تضع أنثى النسر الأسود بيضتين. يعيش منها فرخ واحد فقط. استقرت هذه الطيور هنا، ويعيش الزوجان مع بعضهما بإستمرار. وللأسف إن هذه الطيور تتعرض للإنقراض ويتطلب منا حمايتها. لديها ريش جميل ويهابها الرعاة كونها تفزع الحيوانات - كل هذا يجعلها هدف للصيد.

خريطة تشكل عالم الحيوان

جرى تشكل عالم الحيوان المعاصر لدينا خلال عشرات الملايين من السنين في القفقاس الذي كان جزيرة. وهذا يفسر تأقلم عدة أنواع من الحيوانات، التي لاتجدها إلا هنا في القفقاس.

بعد تحول القفقاس إلى شبه جزيرة بدأ يستقطب مختلف الحيوانات من آسيا (القط الوحشي ليوپارد ،وابن آوى)، ترافق ذلك بهجرة بعض الحيوانات الأوروبية. ففي الفترة الجيولوجية الثالثة أعاق المضيق بين أوروبا وأطراف القفقاس الجنوبية تغلغل حيوانات الشمال. لذلك لا تشاهد هنا بعض حيوانات أوروبا العادية كالأرنب السنجابي، والسنجاب العادي وغيرهما.

خريطة عالم الحيوان في جمهورية قباردينا بلقاريا

يتواجد على أراضي جمهورية قباردينا بلقاريا 70 نوعاً من الثديّات ، 300 نوع من الطيور،29 نوع من الأسماك، 20 نوع من البرمائيات وعدد ضخم من الحشرات. وبشكل عام تهتم بحماية البيئة محمية واحدة وهي الحديقة الوطنية حوالي الألبروس «پريإلبروسي»، ومحمية واحدة جبلية للحيوانات وتسعة محميات إحتياطية.

تاريخ تطور المجتمع البشري على أراضي منطقتنا.

الطبيعة المعطائة وتعدد المصادر الطبيعية وغنى الثروة النباتية والحيوانية ووفرة الكهوف الصخرية والمواد الأولية لصناعة الأسلحة والأدوات الحجرية جذبت الإنسان القديم إلى منطقة القفقاس في الأزمنة الغابرة.

أنياب وعظام فيل الماموث الجنوبي

إحدى اللقى المثيرة المكتشفة في قباردينا بلقاريا قرب بلدة زايوكوڤو سنة 1968 وهي عبارة عن أنياب وأسنان وعظام عائدة لفيل (الماموث) الجنوبي. يعتبر الفيل الجنوبي من أضخم الأفيال المعروفة سواءً المكتشفة بقاياها أو الأفيال المعاصرة. يبلغ ارتفاعه 4.5 متر وطول أنيابه 3 أمتار ووزنه كان بحدود 10 طن. ويعتبر الفيل الجنوبي من جهة أخرى ممثلاً لحيوانات عصر الپاليوليت المبكر.

مكتشفات العصر الحجري

بدأ العصر الحجري القديم -الپاليوليت قبل أكثر من مليون ونصف سنة خلت. حدث أن سكن في ذاك الوقت القفقاس الشمالي الإنسان، وتطورشكله في عصر الپاليوليت الى إنسان ساپيينس. أكتشفت هنا العديد من المواقع الحاوية على أدوات وأسلحة حجرية وكهوف الإنسان. مثل هذه الكهوف مشهورة في الأديغيه وأوسيتيا الشمالية ومنطقة كراسندار .

مغارة سوسروقه ذات المدخل الواسع

العصر الحجري الأوسط - الميزوليت- أمتد من 10 إلى 5 آلاف سنة قبل الميلاد (ق.م.) عندما بدأ انحسار الجليديات و حلت الكائنات النباتية والحيوانية المعاصرة محل الكائنات المتحملة للبرد الشديد. حياة الأنسان كانت تعتمد على الصيد وجني الثمار والخضار. في ذاك الوقت ظهر القوس والسهام. ولم تكن أعمال الزراعة معروفة بعد. وتم في تلك الفترة ترويض الكلاب. ففي عام 1954 أكتشفت أعمدة منذ عصر - الميوزوليت- في وديان وجروف باخسان في مغارة سوسروقه ذات المدخل الواسع. وهناك عثرأيضاً على رؤوس سهام صوانية ومكاشط حجرية مختلفة الأشكال وانواع مختلفة من أدوات حجرية رقيقة والسكاكين العظمية وعظام خنازير برية وغزلان وغزال الرو.

لقى مستوطنة آگوبيكوڤسكي

تم الإنتقال في العصر الحجري الحديث - نيوليت (8-3 آلاف سنة ق. م.)- من أسلوب المعيشة بالإستحواذ (حياة الصيد وجمع الثمار والخضار) إلى أسلوب المعيشة بالإنتاج (الأعمال الزراعية وتربية الحيوانات) مع محافظة أعمال الصيد وجمع الثمار والخضراوات على أهميتها الكبيرة. أحدث تدجين الحيوانات ثورة في العصر الحجري الحديث، فقد قدمت الحيوانات المدجنة للإنسان اللحم والحليب والجلد والفرو والصوف ومنحته قوة كبيرة. انتقل إنسان العصر الحجري الحديث الى نمط الاستقرار في معيشته وإنتاج الطعام بواسطة زرع المحاصيل الزراعية. مما أدى إلى ازدهار الوضع المعيشي وحثَّ على تبادل السلع نتيجة وفرة المواد الغذائية المخزنة. يمكن الحكم على معيشة سكان القفقاس الشمالي في ذاك الوقت بمساعدة التنقيبات الأثرية في مستوطنة آگوبيكوڤسكي على أراضي جمهورية قباردينا بلقاريا. خلال التنقيب في مستوطنة آگوبيكوڤسكي (من الألف الرابع إلى الألف الثالث ق. م.) تم العثور على ملاقط وسكاكين ومباشر، وكذلك على بلطات (فؤوس) حجرية سطحها معالج ومسنونة بشكل جيد. وعثروا هنا لأول مرة في منطقتنا على أوعية فخارية مشغولة بخشونة (بدون دقة). وعثرهنا أيضاً على تمثال طيني لإمراة، وعظام حيوانات برية. ويفترض العلماء أن ناس مستوطنة آگوبيكوڤسكي اشتغلوا بالصيد وجمع الثمار والخضار.

مدافن نالشيك

إن موقع مقابر نالشيك المكتشفة في مكان قريب جداً من مستوطنة آگوبيكوڤسكي ولكنه يمثل مرحلة جديدة من التاريخ المحلي - اينيوليثيك- أي مرحلة الإنتقال من العصر الحجري الى عصر المعادن. غطت رديمات على شكل كومة متموجة 121 قبراً. الهياكل العظمية كانت مستلقية على الجانب بشكل متقوس أو آخذة وضعية الإنسان النائم على ظهره، وهذا من الطابع المميز لهذه الفترة.

ترافق الدفن مع نثر كمية كبيرة من المغرة - الأُهرة (أوكسيد الرصاص) لما تتمتع به من قدرة مطهرة لجثمان الميت، وهذا بدوره أثر على لون العظام . وكانت المغرة بلونها التي تمنحه للعظام رمزاً للطهارة بقوة النار. ويجعلنا تمثال المرأة التي عثرعليه في مقابر نالشيك نفترض ان المرأة كان لها مكانة قائدة في الأسرة والمجتمع في مرحلة المبكرة للتشكيلة الأجتماعية - المشاعية البدائية -النظام الأمومي (الماترياركي)، عندما كان النسب يتبع الأم . الخاتم النحاسي الذي عثر عليه في قبور مدافن نالشيك ما زال يعتبر الدليل الوحيد على نهاية العصر الحجري في القفقاس الشمالي.

مدافن نالشيك قرب حدود كورگان

تعتبر فترة إقامة المدافن النالتشيكية الطور الأخير من العصر الحجري والبدايات المبكرة لعصر المعادن، عندما بدأت مؤشرات ظهور عصر النحاس والبرونز. ترافق مع عصر مسبوكات النحاس بدايات الإنتقال الى عصر الأبوة (الباترياركي) وظهرت الفوارق في الملكية الفردية. ونستطيع الحكم على هذا من خلال مدافن نالشيك قرب حدود كورگان المقدر تواجدها في الألف الرابع ق. م. تألف المدفن من 24 لوح حجري مرصوفة شاقولياً . عثر هنا على لقى ذهبية وخرزية ، أقراط أشكال لولبية وصفائح و قدر فريد من حجمه مصنوع من صفائح النحاس المطروقة.

معروضات ثقافة مايكوب وشمال القفقاس

عرضت لقى بدايات عصر النحاس والبرونز في الحفريات الأثرية لثقافة منطقة مايكوب وشمال القفقاس. وتعتبر كدلائل واضحة عن نشاطات تربية الحيوان وزراعة المحاصيل. في جمهورية قباردينا بلقاريا تتمثل حضارة مايكوب (تسمية حضارة جاءت على خلفية التنقيبات في التل الفريد من نوعه القريب من مدينة مايكوب عام 1867) بلقى حفريات في التل قرب بلدة ليسكين، ومحطة أوروخ، وكذلك اللقى في قرية كيندیلين ، آكباش العليا ، زايوكوفو ومستوطنات دولينسك ونالتشيك. التلال قرب مدينة چيگم وكذلك بلدة چيگم الثانية، كيشپك وشالوشكا. تواجدت حضارة مايكوب من منتصف الألف الثالثة ق م حتى الألف الثانية ق م، وانتشرت من شبه جزيرة تامانسكوه من جهة الشمال الغربي وحتى بلاد الداغستان الحالية في جهة الجنوب الشرقي.

شملت حضارة شمال القفقاس (الألف الثانية ق. م.) مساحات واسعة من أراضي شمال القفقاس. وهي متعلقة بحضارة مايكوب. وتتمثل حضارات شمال القفقاس بالتلال الأثرية والمقابر الأرضية والمدافن المبنية من الحجارة. والمواد التي تصف هذه الحضارات هي: فؤوس منحنية بإتقان ، الصولجانات من الصخور الصلبة الكبيرة والأواني الخزفية مع زخارف ملصقة فريدة من نوعها، والأدوات البرونزية (المعلقات الزينة، ودبابيس، وشارات) مع رسومات نافرة.

حضارة الكوبان

تنتمي اللقى الأثرية لحضارة الكوبان في جمهورية قباردينا بلقاريا الى المرحلة الأخيرة من العصر النحاسي - البرونزي وبدايات العصر الحديدي (أولى اللقى كانت قرب بلدة كوبان في أوسيتيا الشمالية ومن هنا أخذت تسمية حضارة الكوبان) وتتمثل بالأثار العديدة في منطقة نالشيك، بلدة كامينوموستكويه، كيندیلين، زايوكوڤو، كوبا وغيرهم. من مواد للإستخدامات الحياتية وللزينة وتماثيل تعبدية ودينية. وهي عبارة عن معاول وكواشط وفؤوس صغيرة (بلطة) مع حني الحد القاطع، خناجر، رؤوس للحراب وللسهام، دبابيس وشناكل وأساور وقلادات. الأشكال الأساسية للمعيشة بقيت نفسها كتربية الحيوان وقبل كل شيء الماعز. عن هذا تتحدث عديد من القطع الأثرية البرونزية المسكوبة بمهارة لأجساد الماعز المتسلق والمكتشفة في المدافن. وبقيت الأعمال الزراعية أحد أهم المصادر المعيشية: منجل مثير للفلاح القديم عثر عليه في منطقة بلدة نوڤو إڤانوڤكا. إنتشرت حضارة الكوبان في وسط القفقاس.

خريطة تنقلات الكيميريين والسكيف في القفقاس

أدى استخدام الحديد إلى نمو الثروات الإجتماعية، فالإستيلاء على الأراضي الخصبة واستصلاحها سبب في تصادمات بين التجمعات العائلية وكذلك بين القبائل. لعبت قبائل الحضر والرحل الكيميريين والسكيفيين في شمال البحر الأسود بين القرن السابع والثاني ق. م. دور الوسيط بين قبائل القفقاس و شعوب مقدمة آسيا. ولعب السكيفيون دوراً هاماً في تشكل الحضارة المادية في العديد من المناطق، مجيء السكييف الى القفقاس أدى إلى تشكل ونمو مرحلة الكوبان-السكيف للحضارة المحلية. وقبل كل شيء ظهرت الأسلحة وملحقاتها وتجهيزات الخيل، سهام السكيف البرونزية والحديدية، السيوف الحديدية، ولقم من الزرد من تجهيزات الخيل.

سلاح السارمات

في النصف الثاني من القرن الثالث ق. م. بدأت تحركات القبائل السارماتيين الموحدة الرهيبة من سهوب پادونيا و والسهوب المحاذية للڤولگا بإتجاه الغرب والجنوب. ولغاية القرن الثاني ق. م. نشأت وتوطدت قبائل للسارماتيين في أراضٍ كان يسيطر عليها السكيف.

معظم السارماتيين استوطنوا مناطق ماقبل القفقاس وعند ضفاف نهر كوبان واختلطوا مع السكان المحليين.

السينديين

استوطنت قبائل السيندية-الميؤتية في الألف الأولى ق. م. أراضي شمال - غرب القفقاس وهم أسلاف الأديغة (القبردي، الشركس والأديغي). تشكلت عند الشراكس القدماء دولة السيند (سينديكا) - بنظام الرق البدائي في القرن الخامس ق. م. وهي من أقدم الدول التي ظهرت على أراضي بلدنا . كان لدولة سينديكا كتابتها وصكت النقود وكانت الأعمال الزراعية وخاصة الحراثة هي النشاط الإقتصادي الرئيسي. وبشهادة ديموسفين صدَّر السينديون 25 طن من القمح في السنة. في تربية الحيوان كان ثلث غلة السينديين تأتي من تربية قطعان ذوات القرون الضخمة، واستولدوا كذلك الماعز و الخرفان والخنزير والدواجن. ولعب الحصان دوراً هاماً في حياة السينديين-الميؤتيين. وكان صيد الأسماك متطوراً.

الحرف لدى السينديين: صناعة الفخار مع تأثير واضح للصمديات وكذلك الحلي والحدادة والنسيج. وكان لدولة السينديين تجارة نشطة وبشكل خاص تجارة الحنطة، الشعير والدخن، مما أدى إلى تراكم ثروات كبيرة في أيدي نبلاء السيند، وظهرت الملكيات الخاصة، وبدأ المجتمع الطبقي بالتشكل. سهّل الموقع الجغرافي لسنديكا نهضة الاقتصاد والتجارة وتطور المدن. في النصف الثاني من القرن الرابع ق. م. انضوت سينديكا تحت أمرة البوسپور ودخلت في حكمه. إزدادت قوة أمبروطورية البوسپور. ولكنها دمرت أثر إجتياحها من قبل قبائل الهون البدوية في عام 370 م.

نصب أيتوك الأثري

أول شاهد على ظهور القبارتاي على الأراضي المعاصرة هو نصب أيتوك المؤرخ سنة 1130 م كتب عليه بلغة القبارتي بأحرف إغريقية. يعرض هنا بالمتحف نسخة عن الأصل المحفوظ في المتحف الحكومي للتاريخ في موسكو، ويبلغ ارتفاعه 3 متر.

الآلان

الآلان (هم قبيلة من أسلاف السارمات) الذين قطنوا سهوب ما قبل القفقاس. بعد غزو قبائل الهون في القرن الرابع الميلادي دخل الآلان الى المناطق المتاخمة لجبال القفقاس وترأسو مجموعة قوية من القبائل الموحدة ودخلت فيها القبائل المحلية لشمال القفقاس. وفي نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي تأسست دولة اقطاعية متحدة في وسط مناطق ما قبل القفقاس إرتكزت على أساس دولة القبائل الموحدة للآلان بنظام الأقطاع البدائي. إنشغلت الرعية بشكل أساسي بالزراعات المحروثة و وتربية الحيوانات، والحرف والتجارة.

تشكل الشعبين البلقري والقرشاي

كذلك يعتبر البَلقر والقرشاي مع الشركس من السكان الأصليين لشمال القفقاس . القفقاسين البَلقر والقرشاي ينتمون الى مجموعة الكيبچاك من اللغات التركية. إن جذور البَلقر تمتد في القدم السحيق ومترابطة مع جذور قبائل القفقاس الشمالي وهم من حاملي حضارة الكوبان (القرن السابع إلى الرابع قبل الميلاد). حضارة الكوبان وضعت الأسس المادية والروحية لحضارة البَلقر والقرشاي والشعوب الأخرى لشمال القفقاس. ومع ظهور الآلان ،المتكلمون باللغة الإيرانية الأصل في القرون الأولى في شمال القفقاس أصبحوا هم الشق الثاني في تشكيلة شعوب القفقاس. وبدءً من القرنين الرابع والخامس الميلادي دخلت قبائل كثيرة تتحدث التركية الى مناطق القفقاس. ويعتبر البُلگار و الكيبچاك من أكثر القبائل المتحدثة بالتركية الذين تركا أثراً واضحاً على نشوء البلقر. مع قدوم البُلگار وغيرهم من الشعوب التركية بدأت عملية انتشار اللغة التركية في أوساط أجداد البلقر. ولكن الدور الحاسم في تحول أجداد البقر الى اللهجة التركية كانت علاقتهم مع الكيبچاك (الكومانيون)على امتداد القرون من الحادي عشر لغاية الرابع عشر.

لباس المرأة البلقرية

أدخل غزو المغول تغييرات في الخريطة السياسية والعرقية لشمال القفقاس، وظهرت انعكاساتها في حياة وثقافة السكان الأصليين،على سبيل المثال ظهر ذلك على زي المرأة البلقرية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، والذي يذكرنا بملامح عديدة للباس النسائي للتتروالمغول. وجد اللباس عام 1960 في قرية چيگيم العليا من قبل بعثة معهد الدراسات والبحوث العلمية في جمهورية قباردينا بلقاريا. الضريح موضوع في نعش صخري وكان مغطى بقطعة قماش مزخرفة وأقراط فضية ومشط من خشب البقس وحقيبة صغيرة مع كشتبان ومقص. الفستان من الحرير وحزام وكفوف مزينة بجديلة. وفي خزانة الملابس وجدت سراويل وزوجين من أحذية جلدية إحداهما مزينة بنقوش و قبعة من اللباد مغطاة بقطعة قماش صوفي ،حافَظَ شعر المرأة المدفونة على نفسه مجدولاً بضفائر موضوعة على الرأس ومثبتة بشريطة.

خريطة مسير التتر- المغول في القرن الثالث عشر

شكل غزو المغول في القرن الثالث عشر الميلادي الحدث الأكبرفي تاريخ أسيا وشرق أوروبا . ففي عام 1222 ميلادي دمرت قوات جينكيز خان مناطق ماوراء القفقاس واخترق شمال القفقاس عبر ممر دربند. دخل القبردي والبلقر وغيرهم من شعوب القفقاس في عداد القبيلة الذهبية وأُجبروا على دفع الجزية للمحتلين. لم تتآلف شعوب شمال القفقاش مع مشاركتها تلك، فقد ثارت عدة مرات ضد المغول. ولدرء هذه المخاطر وللمحافظة على ممتلاكاتهم ولتأمينها قام المغول بوضع قوات عسكرية كبيرة في تاتارتوپيه و جولات السفلى على الضفة اليمنى لنهر تيريك (قرب مدينة مايسكي الحالية) وكذلك كان أحد البنود الهامة نشر الإسلام وتركيز الحرف والتجارة...

شكل مستوطنة جولات السفلى

هجم الأمير تيمورلنك على القفقاس الشمالي في نهاية القرن الرابع عشر وهو من احتل آسيا الوسطى وقسم مهم من مقدمة آسيا . وفي ربيع 1395 إجتاز تيمورلنك ماوراء القفقاس الى داغستان وإقترب من نهر تيريك وعند أسوار جولات السفلى خاض معركة ضخمة مع خان القبيلة الذهبية توختاميش وانتصر عليه وفر الأخير. كان انتصار التتار عند تخوم جولات السفلى هو ثاني هزيمة نكراء للقبيلة الذهبية، الأولى كانت على يد ديميتري دونسكي على فلاة كولوكوڤي . سقطت دولة التتر- المغول في القرن الخامس عشر وانقسمت إلى خانات عدة. إحدهما كان خان القرم الذي أصبح تابعاً لتركيا، وشارك بنشاط في الإعتداءات على شعوب شمال القفقاس.

في هذا الوقت تشكلت في روسيا حكومة مركزية، وتوجهت لتوسع مجال تأثيرها إلى الجنوب ولإيجاد منفذ على بحر قزوين. في سنة 1552 م. انضم الى روسيا خان قازان وفي 1556 خان أسترخان.

العلاقات الروسية القبردينية من سنة 1552م.

لعب رجل الحرب والسياسة المعروف كبير الأمراء أمير جميع القبردي تمروقة إيدار دوراً رئيسياً في تقريب قاباردا و روسيا من بعضهما. فقد أدرك وأنصاره أنّ صدّ المخاطر الخارجية للأتراك وخانات القرم يحتاج لإيجاد حليف مثل روسيا.

وقائع نيكونويسكايا في القرن السادس عشر

تم توقيع إتفاق بين قباردا وروسيا عام 1557 م. على مبدأ المصالح المشتركة لتشكيل إتحاد عسكري سياسي. وعدت روسيا بموجبه ببناء مستوطنات عند مصبات أنهر سونجي وتيريك، لحماية أراضي القبردي من إغارات تتار القرم و شامخالا الداغستان، وبدورها تقدم قباردا الأحصنة وعليها أن تشارك في جميع الصراعات العسكرية الروسية. وفي عام 1558 شارك خيالة قباردا للمرة الأولى في الأستيلاء على حصن دربند.

في عام 1558 أرسل تمروقة إيدار إبنه سالتان كرهينة الى موسكو وتمّ تعميده هناك وإعطاؤه اسم ميخائيل وخدم في القصر وأصبح في النهاية من المرافقة المقربة من القيصر إيڤان الرهيب.

الطبق الذهبي

لأجل تعميق الاتحاد تزوج إيڤان الرهيب *من إبنة تمروقة إيدار* گوشانيه عام 1561. وعمدت في موسكو وأصبحت القيصرة الروسية ماريا. وعلى طبق من ذهب قدّم إيڤان الرهيب التاج لعروسه.

أهم أعمال القبردي والبلقر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

إشتغل القبردي والبلقر بشكل أساسي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في الأعمال الزراعية وتربية القطعان، ومن بينها تربية الخيول. حُرثت الأرض بالمحراث، المحراث الخشبي والمسلفة - المعزقة. وإلى جانب الأعمال الريفية كانت هناك تجارة نشطة. صنع الحدادون المحليون: المكوى و سبطانة السلاح وغيرهما، وأدوات لشغل ومعالجة الأصواف وتصنيع جزم اللباد والبسط والقبعات /القلبق.

أسلحة المحارب في القرن الثامن عشر

ظلت أسلحة محارب من القبردي في القرن الثامن عشر هي نفسها حتى منتصف القرن التاسع عشر: خوذة، درع زردي ، قفازات زردية ،واقي الكوع ،السيف، الطبنجة. بحسب عد المختصين لزردات الدرع وصل عددها إلى 25 ألف زردة. ويتطلب تصنيع درع واحد حوالي 6000 ساعة عمل، الدرع الزردي يعتمد عليه تماماً فهو خفيف نسبياً (أخف وزن له 3 كغ وأثقله 5 كغ). السيف (الشاشكا) وهو نموذج تقليدي للسلاح الأبيض. وكلمة (شاشكا) هي كلمة محرفة عن الشركسية- ساشخوة- وتعني (السكين الكبير)...

اللباس النسائي

للثوب النسائي (بوستيي - بالشركسي، جبيريق - بالبلقري) نفس التفصيل والخياطة مثل التسي (ثوب الرجل). ويختلف عنه فقط بنوع القماش (لم يخيط من الأقمشة المنزلية) وبدون الجيوب الصغيرة الأسطوانية على الصدر (حازير) ولها أكمام بتفصيلة خاصة. وهذه الأخيرة ومنذ منتصف القرن التاسع عشر أصبحت تفتح من عند الكوع وطويلة جداً، تهبط كثيراً تحت المعصم وتنتهي بطرف مدور تصل تقريباً إلى حافة الثوب.

لاحقاً وفي نهاية القرن التاسع عشر وبدلاً من الأكمام المستقيمة أصبحت تفصل طويلة للاسفل لأطراف الأصابع وتضيقت الأكمام في الجزءالعلوي للمعصمين. لهذا خيطت منفصلة وثبتت من الخارج من فوق الكوع وتحاكي الأكمام المقسمة.

عملياً وبهذه الطريقة وعلى نفس الأزرار يمكن تعليق هذه الأكمام على أثواب عدة. خيطت الثياب القومية الرسمية من أقمشة قوية وغالية: المخمل و الحرير والديباج وغيرهم وبشكل عام ومن ألوان غامقة (من الأسود والبني والأزرق والأخضر الغامق) . كانت الملابس الحمراء تعتبر سابقاً من الألبسة الأنيقة ولبستها النسوة من العائلات النبيلة والأميرات. واختلفت ألبسة النساء البلقريات عن القبارديات بإنها كانت زاهية أكثر وألوانها متباينة أكثر. أما تعليقات الأكمام والتطريزات الطولانية للزينة وكفكفة الأطراف النهائية الخارجية للثوب والأكمام وخيطت بدرزة واحدة أو درزتين مجدولتين ومزينة بخيوط ذهبية أو فضية.وكانت زخارف هذه التزيينات متنوعة كثيراً وضمت الزخارف النباتية والهندسية وأشكال حيوانات. أما ترصيعات الأكمام والأثواب المخملية أو الحريرية وتزينات الصدر كانت تعكس الحالة الإقتصادية والوضع الإجتماعي لأصحابها. أما الغالبية العظمى من الفلاحات فلم يكن لديهن هذه الزينة والأبازيم وحتى اكسسوارات الصدر ولم يتميزن بالأغطية الإضافية.

الحزام

يوضع الحزام فوق الثوب الأنيق وكان يحضّر سابقاً عندّ المرأة من الأجيال الأكبر من النسيج أو الصوف أو حتى يصنع من ألواح خشبية صغيرة ورقيقة، ولكنّه بالضرورة مع الحديد المشبك. أما النساء متوسطي العمر فوضعوا أحزمة من المخمل أو أنصاف رقائق ذهبية أو فضية عريضة والقسم الأخر يكون مطلي بالذهب أو ببساطة من الفضة وبعرض 6-5 سم مع أبازيم متنوعة. أما الفتيات من العائلات الغنية وضعن الأحزمة مصنّعة بالكامل من صفائح عديدة من الفضة منقوشةً ومخرمةً ومعشقة بالذهب.

القبعات

تعتبر أغطية الرأس أهم جزء من الثياب، التي يعزى لها التغييرات و الإختلافات التي تطرأ على وضع المرأة الأسري. فالفتيات وضعن الشالات أو خرجن بدون أي غطاء في فترة ما قبل الزواج. وعندما يدخلن في فترة "النضوج" وتبدأ الفتاة بالذهاب لحفلات الرقص (الجوگ) فتلبس قبعة عالية (ديشا بِئا، وَقَ بيورك) بأشكال مختلفة. اختلفت القبعات التي كانت موجودة حتى القرن التاسع عشر بطولها المميز (حتى 35 سنتيمتر) وكذلك اختلفت بشكلها الخاص. أحد هذه الأشكال كانت قبعات اسطوانية، وأخرى على شكل مخروط وغيرها مدورة الشكل وبعضها مزج بين الاسطوانية والمخروطية وهذه الأخيرة تذكرنا بالخوذة الرجالية. الفتيات لبسن القبعات القصيرة، أما النساء والعرائس قبل وضعهن المولود الأول فلبسن القبعات مع وضع إشارب أبيض من الحرير مع دنادش على محيطه.

ميّزن البلقريات أنفسهن عن القباردیات «بإضافة زينة من القطع النقدية أو الحلي في مقدمة هذه قبعات».

بعد وضع المولود الأول كانت تنزع القبعة عن الكنة الصبية وتستبدل بمقمط صغير (شَحَفأيخُچِء، چوخ). وكان يقوم والد العريس بتبديل القبعة إيذاناً بانضمام العروس للأسرة نهائياً. وبعد تعاظم دور الإسلام غُيرت هذه العادة وأصبحت الداية المولدة هي من تقوم بذلك.

الأحذية

كانت أحذية القباردیات والبلقريات تصنع يدوياً. وهي عبارة عن جوارب أو مداسات من لباد وقباقيب خشبية وتختلف عن الأحذية الرجالية بأناقتها وتطريزاتها. في قباردا وجزئياً في بلقاريا ارتدت النساء الأحذية ذات الكعب العالي من الخشب بدون مسند خلفي أما واقي إصبع القدم فكان من الجلد المزخرف، وهذه كانت تعتبر أحذية منزلية. أما الفتيات من الطبقات العليا فارتدين الركائز العالية (هكذا كانت تسمى) والمزينة ببطانة فضيّة وعليها قطع من المخمل. كان المشي فيها صعب وغير مريح ولكنها كانت تؤكد مكانتهن الإجتماعية. استخدمت الفتيات من طبقات أخرى هذه الأحذية في فترة الإحتفالات بالأعراس.

اللباس الرجالي

اللباس القومي التقليدي للقباردي والبلقر متشابه بشكل أساسي. وحسب الظروف التاريخية التي مرت على البلاد اعتبر هذا اللباس على أنّه لباس الحرب والفرسان وراكبي الخيل، فهو مناسب لطبيعة حياتهم.

تتألف ملابس الرجال من عدة عناصر أساسية:

1- السروال الخارجي ، قميص طويل - بشميته- يلبس فوق قميص خفيف.

2- فوق القميص يلبس الثوب الشركسي (تسَي) ويكون على مقاس الجسم من فوق لغاية الخصر ثم يتوسّع بإتجاه الأسفل. وينفتح على الصدر كاشفاً القميص. وعلى طرفي الصدر تخاط جيوب اسطوانية صغيرة مع قليل من الزخرفة، يوضع داخلها أنابيب صغيرة تحوي البارود للسلاح الناري- ويطلق عليها تسمية الحازير. وكلمة «حازير» الشركسية تعني «جاهز». ويملأ كل «حازير» بكمية من البارود كافية لطلقة واحدة فقط.

3- الخصر وهو الجزء الضروري المكمل لطقم اللباس الشركسي. ويتألف من نطاق جلدي مشغول بعناية عرضه من 2 إلى 3.5 سنتيمتر ومن لويحات معدنية.

4- ويعتبر السلاح من الملحقات الضرورية لطقم اللباس الشركسي. فعلى الخصر تعلق القامة[6] والسكين والمسدس كل في غمده أو قرابه. تحت القامة يعلق سكين وطوله بين 15-18سنتيمتر ويسمى /السكين تحت القامة/ مقبضه مصنوع من العظم أو القرن، ويوضع في غمده بالعكس رأساً على عقب. كان السكين ضرورياً للذبح وتقطيع لحوم الماشية والطيور وتقسيم اللحم المسلوق وتصنيع القطع الجلدية وغيرها. وعند ركوب الخيل حملوا السيف (شاشكا) إلى جانبهم. وعند الضرورة استكملوا تجهيزات الطقم الشركسي بالبندقية وثبتوها في قرابها الخاص.

[6] الخنجر الشركسي- المترجم

5- لباس الرأس: في الصيف لبسوا قبعة من اللباد واسعة الحواف أما في الشتاء وفي فصلي الخريف والربيع وضعوا على رؤوسهم قبعة من جلود الغنم بصوفها. وكانت أغطية الرأس تستكمل بالقلنسوة المصنوعة من قماش المنسوجات المنزلية ذو اللون الأبيض أو الأسود أو البني.

6- الأحذية، يمكن تقسيمها إلى جزئين: واقية الساق والحذاء الخاص.

7- الثياب الخارجية الدافئة. وتعتبر العباءة - الفروة المخيطة من جلود الغنم هو اللباس الخارجي الدافئ. استخدم الرعاة والفلاحين الى جانب العباءة - الفروة الصوفية والعباءات المصنوعة من القطن. والبوركا وهي عباءة أخف وقد لبسوا العباءة (بوركا) المصنوعة من الصوف وفي كل أوقات السنة عند ذهابهم إلى الأسواق أو الحقول أو البلدات الأخرى فهي تقي من الأمطار وتحمي كما من لسع الهواء البارد كذلك من نفث الهواء الحار واستخدمت في البرية أو المراعي كفرشة أوكلحاف رقيق وكانت البوركا سهلة الإستخدام من قبل راكبي الخيل أو العربات، وكانت تحمي الفارس وحصانه من الأمطار والهواء البارد. وفي الأحوال الجوية الجيدة كانت البوركا توضب بشكل لفافة أسطوانية وتثبت على القوس الخلفي للسرج بواسطة الأشرطة.

وتجدر الإشارة أن طقم اللباس للقبارتاي وللبلقر لقى إعجاباً لدى قوزاق منطقة تيريك الذين جاءوا إلى منطقتنا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي. وهذا يثبت أنّ طقم اللباس المحلي التقليدي كان مناسباً جداً للظروف الطبيعية والمناخية للقفقاس الشمالي.

مواد المعيشة

لعب البساط المصنوع من اللباد الـ(كبيز) دوراً مرموقاً في تزيين المنازل لدى البلقر، حيث زينوا به كل جدران المنزل. أما في بيوت القبردي كانت تتواجد أعداد لا بأس بها من بسط اللباد، ولكن كان للحصيرة (أردجَن) عند القبردي دوراً أكثر أهمية.

الحياة الأجتماعية للقبردي والبلقر من القرن السادس عشر وحتى الثامن عشر

حكمت قواعد العادات (أديغة خابزة عند الشركس و تاي آدات لدى البلقر) الحياة الأجتماعية للقبردي والبلقرمن القرن السادس عشر وحتى الثامن عشر. حيث تقرر الاجتماعات الشعبية مسائل الحرب والسلم وتحل الخلافات حول الأراضي والممتلكات وكذلك الخلافات بين العائلات والقوميات.

أما المسائل الهامة الكبيرة على مستوى كامل البلاد فكانت تبحث في مجالس النبلاء.

وفقاً للتقاليد القديمة لم يملك الأمراء الحق بتربية أولادهم في بيوتهم. فكانوا يرسلوهم إلى النبلاء والأسياد للحضانة والتربية، حيث يصبح المربي (أتاليك) بمثابة قريب الأمير، ويصبح تحت حمايته ويعفى من دفع الضرائب. وأحياناً يقوم الأطفال بالسطو على ممتلكات الأهل- الأعداء من أجل تربية وتعليم الأطفال كيفية التصالح مع الطرف المعادي.

كان يرسل الأطفال للحضانة والتربية بعيد الولادة بقليل. وحتى عودته يافعاً إلى بيت أهله كان المربي يتحمل كامل المسؤولية على تنشئته الجسمانية والنفسية. وعندما يخطو الطفل اليافع (قان، يمچيك) مرحلة النضوج وبحسب تقدير المربي إذ إنّه علم اليافع كل شيء، تعتبر عملية التربية قد أنجزت. وبنهاية مرحلة التربية والتأديب للأمير اليافع يعيده المربي إلى منزل أهله بإحتفال رسمي مع الأسلحة والحصان وهدايا متنوعة. وتكريماً لعودة الإبن إلى البيت يقيم له الأهل مهرجاناً مع الرقص والأغاني واللعب والقفز الخ...

الأصدقاء والمعارف

كانت الضيافة منتشرة بشكل واسع عند القبردي والبلقر. فمنذ الأزمنة القديمة وحتى نهاية القرن التاسع عشر حافظت جميع شعوب شمال القفقاس على هذه العادة الحميدة. خلال مئات السنين تراكمت قواعد صارمة بإستقبال الضيوف، وكان المخالف يتعرض للمساءلة. طُبّقت هذه العادة من قبل جميع فئات وطبقات السكان. فقد اعتبر أنّ الضيف مرسل من عند الله وكان التعامل معه متناسباً وهذه الرؤيا. حسن الضيافة شملت أيّ مسافر يبحث عن مكان للنوم والراحة ليستكمل الطريق. يقوم صاحب البيت بنفسه بخدمة الضيف. قُدمت للضيف كافة أشكال الإهتمام والرعاية وعند الضرورة تقدم له المساعدة المسلحة، في حال كان الأعداء يتعقبونه. وكان من غير المعتاد أن يسأل الضيف عن اسمه ومبتغاه من السفر... الخ. وكذلك من غير المستحب بدء حوار معه إذا لم يكن الضيف هو من فتحه. ومن ناحية أخرى كان على الضيف أن لا يتثاقل على المضيف ويبقى في ضيافته أكثر من ثلاثة أيام بدون سبب خاص. بنى الناس المعروفون و الميسورون بيوت مستقلة للضيوف قرب بيوتهم. والناس الأقل إمكانية كان لديهم مضافة (حاچأش ،قوناقيوي) متواجدة في القرية ولكنها ليست بعيدة عن البوابة ليستطيع الضيف الدخول والخروج بحرية بدون أي إحراج له أو لأصحاب البيوت. أما عند الفقراء فكانوا يفرزون للضيف غرفة من غرف المنزل.

صورة "العائلة الكبيرة"

حتى نهاية القرن التاسع عشر عاش القبردي والبلقر في أُسر كبيرة مع بعضهم تحوي من 3 إلى 4 أجيال. قاد الأسرة الرجل الأكبر سناً. بنى القبردي بيوتهم بتشبيك جذوع وسيقان الأشجار ووضعوا الطين على الجدران ثم طلوها بالكلس الأبيض. ووغطوا الأسطح بقش الحنطة.

حسب تأكيدات عديد من شاهدي العيان (أجانب وروس) أن بيوت القبردي والبلقر كانت تمتاز بالنظافة والأناقة وبنظامٍ صارمٍ لترتيب الأشياء والمواد، وهذا نتيجة الخبرات المتراكمة منذ قرون. في العادات والإدارة الواعية للموارد والتوجه لتأمين الممكن لكيٍ يجعلوا البيت أكثر راحة.

قسَّم القبردي والبلقر الغرف إلى نصفين وبشكل خاص في المنازل الكبيرة: قسم معتبر[7] وآخرغير معتبر[8]. وضعوا قرب الأبواب الرفوف ورتبت عليها الأدوات المنزلية (أحواض خشبية ودلاء وأباريق الماء وأوعية خشبية للجبن). وهنا أيضاً تواجد قليل من مؤنة الطعام، وآلة تدليك الجلود و نول النسيج وملحقات معالجة و شغل الصوف. في هذا القسم من الغرفة «الناحية غير معتبرة» كانت النسوة يقضين معظم أمورهن المنزلية فيها من تحضير الطعام وغيرذلك...الخ.

تناول الفلاحون طعام الغذاء على طاولة صغيرة بثلاثة أرجل. وجلسوا على مقاعد واطئة. وكما بقية معدات المطبخ فإن الطاولة الصغيرة كانت تعلق على مسامير خشبية خاصة مثبتة في الجدار أما المقاعد الواطئة فكانت توضع بجانب الجداران. وعلى رفوف أدوات المنزل تقف فناجين خشبية ووضعت الصحون والهاون والمغارف والملاعق والخفاقة وشوَك معدنية لرفع اللحم من قدر السلق وسكاكين وغيرهم. في قباردا وخاصة في بلقاريا كانت توجد قرب جلدية لحفظ المواد المنسكبة والسائلة. حافظت تزيينات بيوت القبردي والبلقر ذات الطابع المميز على مكانتها حتى منتصف القرن التاسع عشر. بالتوازي مع استمرار صنع الأغراض والأدوات المنزلية و مواد الزينة في البيوت،أخذت تنتشر المواد المشتراة كتزينات المنازل وأدوات المطبخ وأغراض المعيشة. وبدأت تظهر في بيوت الفلاحين متوسطي الحال الطاولات المستديرة وأسرّة الرضع والأسرّة الخشبية المصنعة على مخارط الخشب من قبل النجارين الماهرين الروس منهم والمحليين.

توفر الحجر لدى البلقر واستخدموه كمادة متاحة بين أيديهم في العمارة فبنوا بيوتهم الجبلية من الحجر وعادة كان الطابق الأول عبارة عن فسحة أرضية للطابق الثاني[9]. وكانت منازل القبردي والبلقر من الداخل متماثلة.

<u>الأدوات الموسيقية</u>

منذ القدم كان للقبردي والبلقر أدواتهم الموسيقية. منها أدوات النفخ التي لاقت انتشاراً واسعاً: أداة قريبة من الناي مصنوعة من القصب أو من فوهة البندقية بثلاثة أو أربعة ثقوب (بجاميي، سيبيزگي)، والكمان ذو الأوتار من شعر ذيل الحصان (شيچأپشِنَ ، قيك كوْبوز) مع القوس، والقيثارة ذات الإثنا عشر وتراً. وعزف الرجال فقط على الناي والكمان والقيثارة، أما أدوات الإيقاع فكانت مصنوعة من عدة ألواح خشبية صغيرة متعلقة ببعضها (پخَتسئچ ، خارس).

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر دخل في حياة القبردي والبلقر الأُوكرديون الروسي (گارموشكا) التي زاحمت بشدة بقية الأدوات الموسيقية، وعزفت عليها النساء فقط. ومن المثير أن هذه الگارموشكا الروسية سميت في نهاية القرن التاسع عشر بآلة العزف الشركسية (أديگة پشِنه)، وهذا دليل آخر على شهرتها.

<u>الصالة رقم 6</u>

<u>إلغاء القنانة</u>

قبل إنضمام القفقاس بشكل نهائي الى روسيا، لم تكن مطروحة مسألة تخفيف أوضاع الأقنان أو مسألة تحريرهم. لم يشمل البيان االقيصري الصادر بتاريخ 19 شباط 1861م. شعبي القبردي والبلقر وكذلك شعوب شمال القفقاس الأخرى. و من خصوصية الإصلاحات في هذه المنطقة أنها تمت على مراحل وبحذر. تم في المرحلة الأولى تطبيق الاصلاحات في ملكية الأراضي الزراعية، وفي المرحلة الثانية تحريرالفلاحين الأقنان في عام 1867 م. لم ترغب الحكومة القيصرية بالإنتهاك العلني للحقوق الإقطاعية للأمراء والنبلاء الذين دعموا روسيا وكانوا يطالبون بمساواتهم مع النبلاء الروس .

قامت لجنة برئاسة حاكم القفقاس گ.د. أوربيلياني بوضع مشروع لإجراء الإصلاح في ملكية الأراضي. إقترح المشروع أن يتم التنسيق بين الملكية العامة للأراضي مع الملكية الفردية. بحيث يقوم الأمراء والإقطاعيين بتحديد أراضيهم وتصبح الأراض المتبقية ملكية مشتركة لإستثمارها لصالح البلدات.

---

[7] صدر الغرفة -المترجم

[8] عتبة الغرفة - المترجم

[9] التّراس-المترجم

وكذلك ارتأت السلطات أنه من المفيد عدم المساس بملكية الأراضي في مناطق البلقر نظراً لوضعها المعقد والصعب. ولذلك فقد تأجل البت في موضوع إصلاح العلاقات الخاصة بملكية الأراضي في بلقاريا إلى أجل غير مسمى.

في 20 آب 1863م. تم في مدينة نالشيك التوقيع على ميثاق حول تطبيق الحقوق العامة لملكية الأراضي في قباردا. ولتسهيل توزيع مقاسم الأراضي على السكان وتم البدء في توسيع التجمعات السكانية. وفي 1865م. تم توحيد 116 بلدة صغيرة في 39 بلدة. وخصصوهم بمساحة 300 ألف ديسياتين[10] من الأراضي. حيث أنّ حصة الأقطاعي بلغت 36 ديسياتين، وكانت 70% من الأراضي المخصصة للفلاحين غير صالحة للزراعة. بينما حصل الأمير أو الأقطاعي على حصص كبيرة. حصل الأمراء والإقطاعيين على أكثر من 100 ألف ديساتين ما يعادل ثلث الحصص الموزعة في قباردا.

قامت الحكومة في عام 1866م. بأول خطوات تحرير الأقنان. من أجل التحضير للإصلاحات تمّ في عام 1866م. استحداث لجنة خاصة بشؤون الفلاحين في القفقاس . أثارت نية الحكومة تحرير العلاقة التبعية بين الطبقات حفيظة وامتعاض مجموعة من الأمراء والإقطاعيين القبردي والبلقر. وبعد تصريح الإدارة القيصرية عن نيتها الأكيدة بإجراء هذه الإصلاحات، قرر الأمراء والإقطاعيين الإمساك بزمام المبادرة وإجراء الإصلاح بأنفسهم «لإستبعاد إحتمال أي خسارة أكبر لهم».

أعتبرت الورقة الخطابية التي وجهها الأمراء والأقطاعيين القبردي والبلقر للسلطات في 8 آب 1866م. كأساس لتحرير الفلاحين الأقنان من النظام الأقطاعي. حرر الفلاحين عن طريق دفع البدل: كان بدل الفلاح البالغ والقادر على العمل يساوي 200 روبل، وغير البالغ تحت عمر 15 سنة 150 روبل بحساب 10 روبلات عن كل سنة عمرية. في ذاك الوقت كان هذا المبلغ كبيراً جداً. ولم يستطع الفلاحون المحررون من دفع كامل البدل عن العائلة ،فإضطروا مقابلها أن يعملوا بالسخرة (بدون أجر) لمدة 6 سنوات.

أو عند تحرير الأقنان يحصل المالك على نصف ممتلكات الفلاح، باستثناء البيت والأدوات المنزلية فبقيت ملكيتها للفلاح. فإذا تقاسموها وتخلى الفلاح عن حصته فما كان عليه دفع البدل عن نفسه. أعلن عن ألغاء نظام القنانة في قبارديا وبلقاريا في 18 تشرين الثاني عام 1866م. وانتهى بشكل أساسي في آذار 1867 م.

بموجب إصلاح النظام الإقطاعي تم تحرير 16.5 ألف إنسان من تبعية القنانة في قباردا. أما في بلقاريا فكان عددهم حوالي 5 آلاف. لقد دفع الأقنان أكثر من نصف ممتلكاتهم لقاء تحررهم من هذا النظام الجائر. وبلغت المبالغ التي حصل عليها الأمراء والإقطاعيون القبردي والبلقر لقاء مجموع البدلات 2.5 مليون روبل، وحصل 76 إقطاعيٍ بلقريٍ على تعويضٍ قدره 1.5 مليون روبل. وتم إعتماد جميع قرارات إدارة القفقاس بهذا الخصوص في 20 نيسان 1867 م. . وبناءً على المبادىء التي وضعها الملاكين تمّ تحرير 21438 شخص من كلا الجنسين في قباردا . وبقي فقط 2880 نسمة يعملون بالسخرة لدى ملاكيهم. وحرر أكثر من 900 شخصٍ بدون مقابل.

إثر إلغاء نظام القنانة في روسيا تم إجراء سلسلة من الإصلاحات البرجوازية في مجال القضاء، استقلال القضاء أو تبعيته وغيرها. وبنتيجتها تم استحداث محاكم جديدة وإدارات جديدة. طالت هذه الإصلاحات منطقة تيريك، كون قباردا وبلقاريا كانتا جزءً منها .

بدء بتطبيق الإصلاحات القضائية في شمال القفقاس عام 1870م. وكان قد طبق في العام السابق «القواعد المؤقتة للمحاكم الشفهية (اللفظية)». هذه «القواعد» المؤقتة وضعت للحفاظ على المحاكم الشعبية، المعينة سنة 1858م. وأحدثت في دائرة منطقة قباردا وبلقاريا المحكمة الجبلية الشفهية برئاسة مدير الدائرة أو معاونه.

تألفت المحكمة الجبلية الشفهية في نالشيك من شعبتين - للقبردي و للبلقر. وكذلك عُمل على استحداث محاكم فرعية للبلدات. وكانت تنظر في القضايا الجرمية الخفيفة. أما القضايا الجرمية المهمة فكانت تترافع أمام المحكمة الشفهية للدائرة. وعند مداولة الأحكام كان القاضي يعمل بموجب بنود القانون العادي (أداتا).

تطور العلاقات الرأسمالية في الزراعة

مع دخول روسيا في حقبة جديدة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين - مرحلة التطورات العصرية تطلب منها رفع مستوى إقتصاد المناطق القومية بإضطراد لتحويلها إلى قاعدة للخامات التي تصب في عجلة تصنيع المواد والمعدات في روسيا.

وكان لتغلغل العلاقات الرأسمالية دور الجاذب الى منظومة السوق الأقتصادية لكامل روسيا والتي انعكست إيجابياً على تسريع تطور إقتصاد قباردا وبلقاريا. في تلك الفترة تطورت الزراعة في قباردا وبلقاريا وأخذت طابع التبادل الرأسمالي للسلع بمقابل النقود. وازدادت المساحات المزروعة وكذلك أعداد رؤوس الحيوانات. وبتأثير علاقات تبادل السلع مقابل النقود تغيرت المساحات المفلوحة وكذلك تغيرت بنية المساحات المزروعة، فزرعوا الكتان ودوار الشمس والبطاطا حيث أن جميع محاصيلها كانت تذهب الى مصانع الزيوت والنشاء الروسية. واحتل إنتاج الذرة المكانة الأولى بين السلع.

[10] الديسياتين = 1.09 هكتار- المترجم

من أجل زيادة المحاصيل الزراعية أبدى سكان قباردا و بلقاريا إهتماما خاصاً بصناعة المعدات الزراعية. وبشكل عام كان بإمكان البرجوازية الريفية والملاكين الزراعيين الذين حولوا نشاطاتهم بإتجاه التطور الرأسمالي امتلاك الآلات الزراعية. ولعبت المؤسسات المالية الصغيرة التي ظهرت في بدايات القرن العشرين وكذلك التعاونيات الفلاحية دوراً محدوداً في شراء وتأمين الآلات الزراعية.

تربية الحيوانات

ساهمت العلاقات الرأسمالية في تطوير مجالات تربية الثروة الحيوانية وبتخصصها. تخصصت قباردا بتربية الحيوانات الكبيرة من ذوات القرون وكذلك الخيول، أما بلقاريا تخصصت بتطوير تربية الحيوانات الكبيرة من ذوات القرون والماعز. واصفاً حياة البلقر الإقتصادية وأن لدى كثيرين منهم عديد من القطعان، كتب الباحث الإقتصادي المشهور في المنطقة ن. أ. كاراولوف ما يلي:«... لديهم قطعان من الأغنام يصل عددها إلى عدة آلاف من الرؤوس ». وفي منطقة تيريك, تبوأت بلقاريا مراتب متقدمة بتربية الماعز .

تربية الخيل

اكتسبت تربية الخيول في قباردا طابعاً تجارياً . كتب عالم التاريخ ڤ. ن.كوديشيف وهو من القبردي، أنه «بتطوير تربية الخيل حلت قباردا في المرتبة الأولى في روسيا». دعمت الحكومة القيصرية تربية الخيول الضخمة في قباردا، وإفتتحت مراكز حضانة وتخصيب واسطبلات حكومية لإنتاج الخيول الأصيلة. أشتهرت خيول القبردي واكتسبت اعتراف المختصين وزاد الطلب عليها. اهتمت الدولة القيصرية ودعمت تربية الخيل خاصة عندما تمّ تزويد وحدات التموين والمدفعية وسلاح الفرسان بخيول القبردي. وحسب معطيات وحدات الخزن للخيول المستخدمة في الوحدات العسكرية فإنّ قباردا كانت ترسل سنوياً 3000 رأساً من الأحصنة. «كانت القافلة الملكية لصاحب الجلالة الأمبراطور تُطّعم بخيول القبردي ومعظمها من «مركز تربية و تحسين سلالات الخيل كوتسيف» ڤ. ن كوديشيف. قسم من الخيول كانت ترسل إلى المحافظات الجنوبية لتوصيل البريد السريع وتوزعت على كامل القفقاس.

في بداية القرن العشرين من بين أضخم ثلاثة مراكز لتربية وتحسين سلالات الخيول كانت مراكز شالباروف ولافيشيف و كوتسيف. بعض مراكز تربية وتحسين سلالات الخيول شاركت بنشاط في المعارض الزراعية وتربية الحيوان: تيريك 1900 م. ، رستوف 1911 م. ولندن 1914 م.

عينات من القرميد والبلاط

نشأت وترعرعت الصناعة في قباردا وبلقاريا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. لم تكن هنا أية صناعة ضخمة، فقط ازدهرت الصناعات الصغيرة وقليلة الأنتاج. واقتصرت الصناعة على عدة عشرات من المطاحن المائية ومعامل القرميد والبلوك والأسبستوس والأجبان والزيوت والتي استخدمت اليد العاملة. الصناعات الصغيرة كانت يدوية وفي مرحلة التطور الصناعي تحول بعضها إلى استخدام المكننة في العمليات المجهدة التي يطَلَّب انجازها وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً. من الملاحظ أنه في قباردا و بلقاريا سعت المؤسسات التجارية لتطوير ولتحسين أدائها. وإلى جانب تطور حِرَف صناعة النسيج والزينات والسروج والحدادة وطرقت كذلك حرف الغابات والأخشاب أبواب التطور. وافتُتِحت معامل صغيرة لإستخراج مواد البناء الطينية والمرمر.

تطور طرق المواصلات

أثّر إنشاء الخطوط الحديدية على التطور اللاحق لإقتصاد قباردیا وبلقاريا. ففي أعوام 1875-1877 م. تم انشاء الخط الحديدي وصولاً إلى ڤلاديقفقاس . وفي سنة 1913 م. أفتتح خط حديدي فرعي بين ڤلاديقفقاس ونالتشيك - كوتلياريڤسكايا. وبوشر ببناء الطرق الأرضية

لوحظ زيادة نسبية لعدد السكان في قباردا وبلقاريا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بسبب كثرة الولادات وقلة الوفيات وتحسن الأوضاع الإقتصادية والمعيشية وكذلك تدفق المستوطنين من مناطق الأمبراطورية الروسية الأخرى. وأدى هذا وخاصة في بداية القرن العشرين أن يصبح سكان قباردا وبلقاريا متعددي القوميات، مع تحديد مناطق إدارية لكل شعب، بإستثناء مستوطنة نالشيك. في مركز هذه الدائرة الإدارية سكن الروس والألمان واليهود والقبردي و البلقر وكذلك ممثلي بقية قوميات شمال القفقاس. جرى وعلى مراحل في شمال القفقاس بما فيه قباردا وبلقاريا تشكل مستوطنات قومية من خارج منطقة القفقاس، والتي سببت في تداخل وتمازج العلاقات الإقتصادية و السياسية والثقافية والإثنية مع بقية شعوب الدائرة الإدارية لنالتشيك.

أدت التغييرات الاقتصادية والاجتماعية الجارية في حياة القبردي والبلقر خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى نهوض جديد لحركة التنوير بين القبردي والبلقر، وحفزت الجماهير الشعبية. وأبدى رجالات التعليم والتربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شغفهم الحيوي في تاريخ بلادهم، وإثنيتهم مبدين اهتمامهم بالحفاظ على القيم الثقافية ، طالبين المساعدة الشاملة لنشر التعليم لرفع مكانة الثقافة القومية وتطويرها.

التعليم والثقافة في قباردا وبلقاريا

في النصف الأول من القرن التاسع عشر تواجدت في قباردينا بلقاريا مدارس تعليم القرآن فقط وكانت ملحقة بالمساجد. أول مدرسة تعليمية تنويرية (للرهائن) أفتتحت في قلعة نالشيك سنة 1829 م. تَعلمَ التلاميذ في هذه المدرسة الحساب واللغة الروسية وغيرهما من المواد. وأول من درَّس في مدرسة الرهائن في نالشيك هو المعلم والمربي الشركسي شورى نوگموڤ. في عام 1839 م. افتتح د. كودزوكوڤ في بلدته الصغيرة أبوكوڤو مدرسة إبتدائية ، حيث درَس خمسة أطفال فيها. فقط في عام 1851 م. افتتحت مدرسة عامة تتسع ل 25 تلميذ. وعلى أساس هذه المدرسة افتتحت مدرسة الدائرة الجبلية في نالشيك لثلاثة صفوف أساسية وقسمين تحضيريين. وحوت المدرسة على جناح لسكن ومعيشة التلاميذ يتسع لـ 65 شخص.

ظهرت أول المدارس الزراعية في قباردا عام 1875 م. . وافتتحت بمبادرة من السكان المحليين في بلدات كوچمازوكينو (حالياً اسمها ستاريا كريپوست[11]) ، كودينيتوڤو (مدينة چيگم) ، شاردانوڤو (بلدة شالوشكا)، حيث إتسعت كل **مدرسة** لـ 20 إلى 25 شخص. ومولت الهيئات الإجتماعية هذه المدارس. في عام 1866 م. تم تنظيم دورات تدريبية خاصة من أجل تهيئة وتحضير وتدريب المدرسين للمدارس الزراعية.

المنسوخات

قام كازي أتاجوكين أحد مشاهير رجالات الثقافة في قاباردا بإفتتاح والمشاركة المباشرة في هذه الدورات، حيث ومنذ ستينات القرن التاسع عشر أكمل وطور وجهات النظر المتنورة لشورى نوگموڤ في التربية والتعليم. أصدر كازي أتاجوكين أول كتاب بالشركسي بلهجة القبردي «ألف باء لغة القبردي»، «مقتطفات من القصص الشعبية، سوسروقوة»، ترجمات إلى لغة القبردي من أعمال سعدي شيرازي وم. يو. ليرمنتوڤ، مقالات ك.د. أوشينسكي «عن الماء والهواء، صفاتهما وتحولاتهما في المظهر».

في سنة 1909م. تم تحويل مدرسة نالشيك الجبلية إلى مدرسة نظامية. تألفت المدرسة النظامية من 6 صفوف أساسية و صف واحد تحضيري. وبناءً على طلب المعلمين - المربين تمّ إدخال اللغة الشركسية بلهجة القبردي في المنهاج. ويمكن الإفتراض أن كتاب پ. تامبييڤ « ألف باء لغة القبردي» الذي أصدر عام 1906 في تيفليس[12] كان هو نفسه كتاب اللغة الشركسية المدرسي. كتب ل. گ. لوپاتينسكي في المقدمة «وضع هذا الكتاب ألف باء الشركسية خصيصاً لمدارس القبردي... ». الفكرة الأساسية لهذا الكتاب الصغير هي دعوة وتشجيع غالبية الناس على التعليم. واستطاع المؤلف تحقيق ذلك عبر جميع صفحات هذا الكتاب من خلال الانتقاء الماهر للقصص والأمثال الشعبية النابعة من صلب الحياة المعيشية للشعب. في سنوات ما قبل الثورة كانت المدرسة النظامية هي الوحيدة في الدائرة الإدارية تقوم بتعليم منهاج المرحلة المتوسطة، وكانت مفخرة القبردي والبلقر بنشرها لأفكار الثقافة الديموقراطية. قام عدد من المدرسين بدمج العملية التعليمية مع التربوية. ولاحقاً تبوأ كثير من خريجي هذه المدرسة ومدرسيها مكانة مرموقة بين رجالات الثقافة في قباردا وبلقاريا .

في بداية القرن العشرين أخذت عملية التعليم والتربية تفرض واقعها، حتى في المدارس الدينية حيث بالإضافة إلى تعليم المواد الدينية أخذت هذه المدارس بتدريس مواد الجغرافيا، التاريخ، اللغة القومية، الآداب والسلوك،علم الجمال بما فيها المنطق وكذلك الأدب ذو التوجهات الدينية.

من نشطاء أنصار نشر التعليم بين القبردي والبلقار كان كل من نوري تساگوڤ وخاسان إلبيردوڤ و خانيفا أبايڤا و م.م. فانزييڤ و إسمايل أبايڤ وإسخاك كارموڤ وموگاميت إنييڤ وغيرهم.

من الذين أثَّروا في تطوير واعادة تشكل الحياة الإجتماعية و الثقافية للقبردي والبلقر ميسوست أباييڤ (عالم التاريخ والإثنيات المشهور، مؤلف أول موسوعة في تاريخ البلقر وحياتهم «بلقاريا»)، آدم ديموڤ (مربي ومعلم شعب القبردي؛ بالإشتراك مع نوري تساگوڤ أصدرا أول عدد لجريدة القبردي «أديغة ماق» (صوت الشركس) وكذلك سلسلة من الأعمال الأخرى باللغة الشركسية بلهجة القبردي)، تاليب كاشيجيڤ (المعلم والمربي المشهور المتخصص بتراث القبردي وعالم الإثنيات)، ڤلاديمير (إلبوزدوكو) كانامیتوڤيچ كوداشييڤ (مربي الشعب القبردي ، مؤلف «شواهد تاريخية عن شعب القبردي »، سافار-ألي وروسبييڤ (المتخصص بإثنيات البلقر والمتخصص بالتراث)، باسيات شاخاناوڤ (البلقري المشهور في شمال القفقاس الناشر والمحامي في بداية القرن العشرين)، بيكمورزا پاچييڤ (رائد الأدب المكتوب)، كيازيم ميچييڤ (مؤسس الأدب الفني البلقري).

قباردا وبلقاريا و سنوات الثورة الروسية الأولى 1905-1907

[11] القلعة القديمة -المترجم

[12] عاصمة جمهورية جورجيا - المترجم

ساعد تطور العلاقات الراسمالية في الريف في تعزيز الأداء الزراعي. في الأعوام 1905 الى 1907 عقدت الإجتماعات وحدثت هجمات مسلحة و عمليات استيلاء فوضوية على أراضي الملاكين الزراعيين والأمراء . ناضل الفلاحون ليس فقط لأجل الأرض وكذلك ضد عبء الضرائب الكبيرة وتعسف السلطات.

بتاريخ 11، 12، 18 و19 كانون أول عام 1905 م. عقدت إجتماعات في ضواحي نالشيك بمشاركة الفلاحين القبردي والبلقر. وقام كل من عامل سكك الحديد ي. رومينسكيي من مينرالنيه قودي ورئيس محطة القطار پ. پوبينوك بتوضيح وتفسير البيان الصادر في 17 تشرين أول 1905 م. وعرفوا الشعب بالأحداث الثورية في البلاد. استدعى رئيس الدائرة الإدارية العقيد ستراخوف الجنود لتفريق المجتمعين. ورفض المجتمعون تلبية طلبه.

أدت الإنتفاضة المسلحة في كانون أول 1905 في موسكو إلى تصاعد الحركة الثورية في كثير من المدن الروسية. عقد سكان نالشيك ومحيطها إجتماعاً في 26 كانون أول 1905 م.، وبنتيجته إحتل المجتمعون مستودع الأسلحة والذخائر، وتسلحوا بالبنادق وهجموا على بناء إدارة الدائرة لإعتقال رئيس الدائرة . فر العقيد ستراخوف سراً من نالشيك. وفي 28 كانون الأول تم قمع الإنتفاضة بواسطة القوات المسلحة، وألقي القبض على المحرضين الرئسيين.

في نفس وقت أحداث نالشيك جرت الإضطرابات في بلدة دوكشوكوڤو (محطة چيريك)، وأخمدت بواسطة القوزاق والشرطة الذين أُستقدموا من نالشيك. جرت إجتماعات واضطرابات في الريف سنة 1906 م. في بلدات نوڤو-پولتاڤسكويه و نوڤو-نيكولايڤسكويه .

بنتيجة الأحداث الثورية عام 1905 م. تم الغاء مجلس ممثلي كبار السن، وأصبحوا يُنتخبون في إجتماعات القرى وتُعتمد من رئيس المنطقة.

قطار فرسان كتيبة تيريك-كوبان

جرت الحرب الروسية اليابانية في سنتي 1904-1905 . نتيجة العمليات الحربية في منطقة الشرق الأقصى أقرت الجهات الوصائية تشكيل فرق وكتائب عسكرية قومية. نتيجة الحملات النشطة من الأدارات المحلية و منطقة تيريك تم تشكيل كتيبتين عسكريين من 6 سرايا كل منها 100 عسكري ومنها السرية القباردينية الأولى من 128 شخص (114 من القبردي و14 بلقرياً) وتوجهوا إلى الشرق الأقصى في 22 أيار. وشاركت السرية القباردينية المنضوية تحت لواء كتيبة تيريك كوبان في القتال ضد اليابانيين.

زاليمگيري كيريفييڤ

الحركة الثورية لم تتجنب حتى الجيش . 13 تشرين أول 1904 م. استلمت كتيبة تيريك كوبان أمراً بالتقدم نحو خط العدو الأول. رفض أغلبية فرسان السرية الشيشانية والقباردينية الإذعان للأمر وتوجهوا إلى موقع "موكدينو" وتمت محاصرتهم من قبل القوزاق ومن ثم تجريدهم من أسلحتهم . حكمت المحكمة العسكرية في تشرين الثاني 1904 م. على محرضي الإضطراب- زاليمگيري كيريفييڤ من السرية القباردينية وتاشو تاسماخيلوڤ من السرية الشيشانية بالإعدام بالرصاص. جرى تنفيذ الحكم في 17 تشرين الثاني 1904 م بكيريفييڤ أما تاشو تاسماخيلوڤ فقد خفف حكمه من الإعدام إلى 10 سنوات سجن. وشاركت السريتين القباردينية والشيشانية في عداد الكتيبة تيريك كوبان بالمعارك ضد اليابان حتى نهاية الحرب. وصلت إلى مسامع دائرة نالشيك ما قامت به السرية القباردينية في الشرق الأقصى مما كان له بعض التأثير على الحركة الثورية في المنطقة في أعوام 1905-1907 م.

إنتفاضة منطقة زولكا

بدعم من إدارة المنطقة أعطيت في عام 1912 م. أفضل مناطق "زولكا" إلى الأمراء و أصحاب مزارع تربية الخيول مع تسهيلات في التسديد لفترات طويلة. وقام هؤلاء بالسيطرة على زولكا والمناطق التابعة لها وحُرم أصحابُ مزارع تربية الخيول الفلاحين من رعي قطعانهم في بلدة زولكا وما حولها. وهذا ما أثار غضب الفلاحين. في 29 أيار 1913 م. في البداية هجم فلاحو بلدة ناوروز. وانضم اليهم لاحقاً فلاحون من بقية المناطق ودعَمهم كذلك الفلاحون البلقر من تجمع وروسبييڤسكيي الريفي. الهجوم العام بدأ في 31 أيار. وبلغ عدد الفلاحيين المشاركين فيه 12 ألف شخص. في 2 حزيران وصلت جموع آلاف الفلاحين إلى زولكا وطردت الحراس من هناك واحتلت منطقة زولكا وما حولها ونشرت قطعانها فيها.

أقلقت إضطرابات الفلاحين في قباردا إدارة منطقة تيريك. وجُهزت فصيلة حربية بالمدفعية والعتاد. ووصل إلى مكان الأحداث رئيس أركان قوات منطقة تيرك الجنرال چيرنوزوبييڤ. وفي 3 تموز أطلقت العيارات النارية فوق رؤوس المحتشدين لتخويفهم. وأخمدت اضطرابات الفلاحين التي دامت اسبوعاً كاملاً. تمّ القاء القبض على المحرضين الرئيسيين پشماخو إيرجييڤ و بوتا مازانوڤ ولقمان شوماخوڤ وغيرهم واقتيدوا إلى سيبيريا.

انتفاضة چيريك

على إثر انتفاضة زولكا في حزيران 1913 م. بدأت انتفاضة الفلاحين البلقر في چيريك. التي جاءت رداً على استيلاء تاوب (أتباع) جانخوتوڤ على غابة كاراسوبيسكي. وكذلك فعل التاوب الآخرين. استولوا على 20 ألف هكتارتقريباً من حراج الغابات. حراس جانخوتوڤ اعتقلوا الفلاحيين وضربوهم وصادروا منهم الحطب الذي إحتطبوه في الغابة. وانتشرت أخبار بطش جماعة جانخوتوڤ بين كافة سكان وادي چيريك . كانت مطالب الفلاحين في إجتماعاتهم تنحصر في وضع حد للإضطهاد.

بدأت الإنتفاضة صباح 11 تموز 1913 م. وصل عدد المشاركين فيها إلى ألفي شخص. حرر المنتفضون الفلاحين المعتقلين في القبو وحطموا بيت جانخوتوڤ المؤلف من طابقين وماجاوره. عارفين مصيرهم إذا انتفض الفلاحون تمكن أصحاب البيوت تلك من التخفي في الغابة وإرسال أحد الخيالة إلى نالشيك لطلب المساعدة. وصلت إلى وادي چيريك سرية الخيالة من 500 فارس مع المدفعية. وأُعتقل على أثرها منظمي الإنتفاضة ميرزا تسورابيڤ، خاجيمورزا موكابيڤ و موگاميد أوراكوڤ وزُجوا بالسجن. وأدين 58 من المشاركين في الإنتفاضة مع تحميلهم المسؤولية. دافع عنهم المحامي ب.شاخانوڤ وحصل على أحكام تبرئة من التهم الموجهة إليهم. أحبطت الإنتفاضة ولكن إضطرت إدارة تيريك لإتخاذ قرار، تعين بموجبه أن أراضي الأحراج والرعي في منطقة كاراسو هي ملكية عامة.

قباردا وبلقاريا في سنوات الحرب العالمية الأولى

في حزيران 1914 م. بدأت الحرب العالمية الأولى. ومع بداية الحرب قرر « ممثلي قباردا الكبرى والصغرى مع خمسة تجمعات جبلية في بلقاريا» أنه « في الأوقات الصعبة التي يمر بها الوطن يعلنون أنه من الضروري تشكيل كتيبة للمشاركة في المعارك القتالية». وتم تشكيلها على أساس تطوعي.

في 23 آب 1914 م. تم إصدار الأمر السامي لنيكولاي الثاني حول إنشاء «فرقة الفرسان القفقاسية الأصيلة» تألفت من ثلاث ألوية وستة كتائب:الكتيبة القباردينية، الكتيبة الداغستانية الثانية، الكتيبة الشاشانية، الكتيبة التترية، الكتيبة الچركسية و الكتيبة الإنگوشية. وعُين الأمير العظيم ميخايل أليكساندروڤيچ قائداً للفرقة

ألبسة الفارس القبردي في الكتيبة الـ-400

عُين العقيد الكونت ڤورونيتس - داشكوڤ نجل والي القيصر في القفقاس قائداً للكتيبة. وأصبح معاونه للإنضباط فيودر نيكولايڤيچ (تيمبوت جانخوتوڤيچ) بيكوڤيچ - چيركاسكي الذي قاد فصيلة القبردي في الحرب الروسية اليابانية. كان تعداد الفرسان في كتيبة الفرسان القبردي 615 فارساً منهم 431 قبارتي و75 بلقرياً، 109 روسياً وأوكرانياً وبيلوروسياً وعدد من ممثلي القوميات الأخرى.

حققت الكتيبة الداخلة في عداد فرقة الفرسان القفقاسيين حتى عودتها في شهر تشرين أول 1917 م. نجاحات في المهمات القتالية التي حُددت لها. وبفضل جرأة وشجاعة فرسان وضباط الفرقة القفقاسية أصبحت مشهورة على الجبهات بـ«فرقة الوحوش». أطلق النمساويون عليها لقب «الشياطين ذوي قبعات الفرو». بمظرهم الموحد البعيد عن أي هيئة أوروبية، بث القفقاسيون الرعب في نفوس الأعداء.

أوسمة روسيا 1914-1917 م.

أبدى فرسان وضباط الكتيبة القباردينية في الحرب بسالةً ورجولةً. تم منح حوالي 500 منهم أوسمة الصليب الگيورگي وميداليات «الشجاعة». وأعطي لـ 11 فارساً من كتيبة الفرسان لقب فرسان الصليب الگيورگي من الفئة الرابعة والثالثة والثانية والأولى. والتي يمكن مقارنتهم بحاملي لقب أبطال روسيا.

في أيلول 1917 م. أُعيد فيلق الخيالة القفقاسي الذي ضم في صفوفه الكتيبة القباردية إلى شمال القفقاس. وبعد تسلم السلطة السوڤيتية زمام الأمور في الدائرة الإدارية لنالتشيك في نهاية آذار 1918 م. وحلت الكتيبة نفسها. وفي خلال الثورة شارك كثير من الفرسان مع هذا الجانب أو ذاك على جانبي خطوط المواجهة.

بنتيجة ثورة شباط البرجوازية الديموقراطية وصلت الحكومة البرجوازية الى السلطة ،ولكنها لم تستطع حل كافة القضايا والمسائل، التي واجهتها روسيا. في تلك الفترة كانت السلطة في قباردا وبلقاريا في قبضة ممثلي الحكومة المؤقتة برئاسة خامید چيجوكوڤ.

أفتتح المؤتمر الأول لمجلس ممثلي الشعب في دائرة نالشيك بتاريخ 18 نيسان 1918م. في بناء المدرسة النظامية. إعتمد المؤتمر قرار المؤتمر الثاني لشعوب منطقة تيريك وتسلم المجلس السلطة السوڤيتية في دائرة نالشيك وانتخب مجلس ممثلي الشعب في الدائرة. ومن بين أعضاء المجلس أنتخب م. فانزبيڤ ،خ. مامبيرتوڤ ، و المفوض[13] /الكوميسّار/ في المنطقة اليكسي ساخاروڤ،المفوض في نالشيك ماجيد كوداشييڤ . وترأس فصائل الجيش الأحمر كل من خوشت آخوخوڤ، خاجمورات آسانوڤ، ليونيد بلاييڤ، أليكسي فيلاتوڤ.

[13] الكوميسّار تعني المفوض وأحياناً لاتترجم من الروسية لشهرتها- المترجم

أما المزارعون الذين رفضوا تسليم مقاسمهم من الأراضي «المواشي والمعدات»، أُعتبروا معادين للثورة وتمت مصادرة ممتلكاتهم.

في حزيران 1918م. إندلع تمرد ضد السلطة السوڤيتية. شكل شكورو في مدينة پيتيگورسك فصيل من حملة 1000 سيف وفي 21 حزيران إحتل شكورو مدينة كيسلوڤودسك ثم بلدة أيسسينتوكي. وبنفس الوقت أعلن گ. بيچيراخوف العصيان في موزدوك وشن الحرب على السلطة السوڤيتية.

استطاع النقيب زاوربيك داوتوكوف-سيريبريانيكوف الذي أسس له مقراً في محطة سولداتسكي في قباردينا بلقاريا من جذب الأمراء والإقطاعيين القبردي من غير الراضين على السلطة الجديدة وأنشأ فصيلة لمحاربة البلاشفة . وقفت كتائب القباردیين ضدهم بقيادة ن. كاتخانوف ، ب.كالميكوف، خ. بيسلانييف، خ. كاراشاييف. وجرت المعارك في نواحي پيتيگورسك و ڤلاديكڤكاز. وفي 7 تشرين أول 1918 م. أحتل فصيل داوتوكوف-سيريبريانيكوف نالشيك.

تواجد المفوض السامي لجنوب روسيا سيرگو أورجونيگيدزه عدة أيام من نهاية تشرين أول 1918م. في بلدة ڤ. آكباش، وقاد العمليات القتالية للقطعات الثورية ضد فصيلة بيچيراخوف. وسرعاناً ما لحقت الهزيمة بالقوزاق البيض، و هرب گ. بيچيراخوف إلى باكو، التي كانت محتلة من قوات التدخل الإنگليزية.

رحل داوتوكوف-سيريبريانيكوف عن طريق كيسلوڤودسك الى الكوبان ومن جديد قَدُمت قطعات دينيكينسكي[14] إلى قبارديا و بلقاريا من طرف ستافروپول وكان في مقدمتهم كل من الذين كانوا قد فروا مؤخراً شكورو و داوتوكوف-سيريبريانيكوف. أقام أورجينيگيدزه في هذا الوقت في گيورگيڤسك حيث التقى بفرقة فرسان القبردي التي أعيد تشكيلها مجدداً. وفي 25 كانون الثاني 1919م. إحتلت قوات دينيكين نالشيك. وعين الأمير القبردي اللواء بيكوڤيچ-چركاسكي حاكماً على قباردیا و بلقاريا وعين مساعداً له داوتوكوف-سيريبريانيكوف.

تم استرجاع الأراضي من الفلاحين وأعادوها لأصحابها . وارتكبت أعمال عنف بحق البلشڤيك . وكرر دينيكين فيما بعد عبارة «كان القفقاس الشمالي بمثابة قِدْرٍ يغلي». في آذار 1920م. وتحت ضربات الجيش الأحمر ومع مساعدة فصائل الأنصار بدأت قوات دينيكين بالإنسحاب. وهرب بيكوڤيچ-چركاسكي إلى جورجيا في 24 آذار 1920م. وهكذا تم تحرير قباردا وبلقاريا من وحدات الحرس الأبيض. وأعلنت السلطات العليا عن تشكيل اللجنة الثورية لقباردا-بلقاريا برئاسة بيتال كالميكوف.

جرت إستعادةُ النشاطات الإقتصادية لشعب قباردينا-بلقاريا، كما في كل البلد الكبير في فترة تطور السياسات الستالينية بأساليب الإدارة بالإيعازات والأوامر الإدارية، الحلول بالإرادة القوية، وعدم الثقة والشك والقسوة تجاه الناس من مختلف القوميات. وانتشر القمع على نطاق واسع شمل كامل البلاد تحت ذرائع كاذبة وشمل هذا أيضاً قباردينا- بلقاريا. وقُمع آلاف الأشخاص من الذين اعتمد الحزب عليهم في السنوات الأولى للسلطة السوڤيتية. منهم نزير كاتخانوف، عائلة گوسينوف وكثيرون غيرهم. الذين برئوا في وقت لاحق.

أنشئت الحكومات القومية في سنوات العشرينيات. في 20 كانون الثاني 1921م. تم إحداث الجمهورية الجبلية الإشتراكية ذات الحكم الذاتي، ودخلت في تشكيلات القفقاس القومية. في 1 إيلول 1921م. إتخذت اللجنة التنفيذية المركزية العليا لروسيا الإتحادية الإشتراكية السوڤياتية قراراً بإخراج قباردا من الجمهورية الجبلية. وتشكلت مقاطعة قباردا ذات الحكم الذاتي التابعة لروسيا. وبعد إخراج بلقاريا من الجمهورية الجبلية في 16 كنون الثاني 1922م. أحدثت جمهورية قباردينا-بلقاريا الموحدة ذات الحكم الذاتي وأنتخب كل من ب.كالميكوف رئيساً للجنة التنفيذية و م. إنبيڤ و ف. فادييڤ مساعدين له. وخصصت قباردينا - بلقاريا بمبلغٍ كبيرٍ 5 مليارات روبل لإحياءها وللنهوض بالإقتصاد والثقافة والصحة، وأستقدم الإخصائيون للعمل.

من أهم المسائل التي واجهتها السلطة السوڤيتية بعد استقرارها، كان القضاء على الأمية بين الكبار والأطفال. وابتداءً من سنة 1922م. بوشر في تحقيق هذه المهمة في مناطق قباردينا - بلقاريا وكذلك في مناطق البلاد الأخرى، فأحدثت لجان إستثنائية مناطقية للقضاء على الأمية وخلايا إجتماعية تحت مسمى «فلتسقط الأُمية»[15] (أودن). تم إنشاء المنظومة التعليمية السوڤيتية في قباردينا- بلقاريا على أساس مرسوم اللجنة التنفيذية المركزية العليا «حول مدارس العمال الموحدة في روسيا الاتحادية الإشتراكية السوڤياتية» تاريخ 1918/10/16 ولكن الحرب الأهلية التي اندلعت في ذلك الوقت أوقفت أعمال بناء المدارس في قباردينا وبلقاريا . وعملياً سببت تلك الحرب بتحطيم كامل القاعدة المادية للمدارس في قباردا و بلقاريا تقريباً. وتقلص عدد المدارس إلى النصف بالمقارنة مع ما كان قبل الثورة.

في 1924م. تم إفتتاح مجمع تعليمي في نالشيك، الذي ضم أقسام التربية، التعاونيات، الزراعة، الطب، المعاهد المهنية. المدارس الحزبية، والمدرسة الإجتماعية، التي هيأت كوادرللتدريب على النشاطات الاقتصادية والثقافية. وسمي المجمع باسم مجمع المدينة التعليمي اللينيني[16].وكان هو المركز التعليمي الأساسي الذي هيأ وتخرج منه الكادر التربوي للمدارس الابتدائية القباردية والبلقارية والروسية في الجمهورية، وكذلك التعليم الفني حتى عام 1935م. حيث استقل عن مجمع المدينة. اشتهر كثيرٌ من خريجي المعهد الفني كموظفي حكومة وحزبيين ورجال ثقافة وفن،ومعلمين (أ. شورتانو ڤ، ب. گورتيڤ ،خ. بيربيكوف وغيرهم).

[14] من أشهر قطعات القوزاق الشرسة في تلك الفترة التى تذبذبت تبعيتها بين البيض والحمر- المترجم
[15] ОДН
[16] ЛУ Г

باشرت البلاد في أعمال بناء واسعة. فعلى رأس المهمات وضعت مسألة بناء الصناعة الثقيلة في البلد. زاد في مناطق الجمهورية عدد معامل تصنيع المنتوجات الزراعية: معمل الكحول دوكشوكينكو، معمل النشاء في الكساندروفسكي، ومعامل ألواح الخشب المضغوط والقرميد والبلوك والبلاط. تم بناء الجسور وعُبّدت الطرق. وحسب خطة اللجنة الحكومية لكهربة روسيا[17] وبنتيجة توفر الطاقة الكهربائية بُوشر ببناء المنشأة العملاقة للصناعات الثقيلة في المنطقة المجمع الصناعي للڤولفرام[18] والموليبدينيوم في تيرنيآوز. تم بناء هذه المنشآت في ظروف صعبة للغاية واستخدم فيها العمالة اليدوية على ارتفاع 3 آلاف متر في ظروف طقس صعب من برد وهبوب الريح وإنزلاقات جليدية. هنا لأول مرة طبقت طريقة الإستخراج المولوبدينيوم من المناجم المكشوفة. وذهب إنتاج المجمع الصناعي هذا إلى مصانع صناعة دروع الدبابات وتصنيع المعدات والأجهزة التي يتطلب تصنيعها دقة عالية كمعدات الفضاء الخارجي.

وبحسب مقررات مؤتمر الحزب الخامس عشر حول تجميع الإنتاج الزراعي. جرت بنشاط عمليات التجميع الزراعي في قباردينا-بلقاريا في منطقة السهول في عام 1930م. أما في المناطق الجبلية استمرت لغاية 1933م. تم تجميع ما يقارب المليون من الملكيات الصغيرة في 146 كولخوزاً[19] وفي عام 1933م. وفي المؤتمر الأول لكولخوزات الطليعية المنعقد في موسكو تم الإشارة إلى قبردينا - بلقاريا كواحدة من أفضل المناطق.

وفي 3 كانون أول 1934م.تم منح قباردينا بلقاريا وسام لينين كأحدى المناطق الطليعية في الأتحاد السوڤيتي «للنجاحات الباهرة في القيام بالأعمال الزراعية لتقوية وتثبيت الكولخوزات والسوڤخوزات». وتبين لوحة الرسام گورشكوف المكرسة لاحداث أيار 1934م.، لحظة منح الجوائز في إجتماع الـ 50 ألف مشارك.

قرر المؤتمر الثامن لعموم مجالس السوڤيات في 5 كانون الأول 1936م. تغيير تسمية منطقة قابردينا - بلقاريا ذات الحكم الذاتي[20] إلى جمهورية قباردينا بلقاريا الاشتراكية السوڤيتية ذات الحكم الذاتي[21] ، وتكرس ذلك بالدستور.

مع تطور الاقتصاد في تلك السنوات تطورت الثقافة بشكل واسع . في أعوام 1924 -1926 استحدثت الكتابتين القوميتين الشركسية بلهجة القبردي والبلقارية . حتى عام 1940 أكثر من70 ألف طفل تعلموا في 243 مدرسة. وفي هذا المجال أيضاً كانت الجمهورية بين الأوائل. نمت شبكة مراكز الثقافة والتنوير : دور النشر القومية، بناء قصر الطلائع، منتجعات النقاهة والإستجمام (السناتوري)، بيوت الراحة. ومنذ سنة 1927م. تبث محطة الإذاعة برامجها.

تم تشكيل فرقة الغناء والرقص ، وتم تنظيم فرقتي الكورال الحكوميتين المحترفتين القباردينية والبلقارية. في عام 1924م. أفتتح مجمع التعليم اللينيني - الذي كان بمثابة ورشة تخريج للكوادر المهنية في الجمهورية.

قدَّم الأدب والفن في ذلك الزمان أسماءً خالدةً: الشاعر أ. شوگنتسوكوف، ك. أوتاروف، أليم كشوكوف، ك. كولييف. عازفة القيثارة الهارموني ك. كاشيرگوڤا وكثير غيرهم.

شهد عام 1936م. حدث ثقافي هام: تم إصدار أول كتاب شامل عن الفلكلور الشركسي باللغة الروسية بإشراف م. پريشڤين عن دار النشر "سوڤييتسكي پيساتل"[22].

في عام 1936م. أفتتح مسرح الدراما. وكان من بين أوائل خريجي ستوديو القبردي والبلقار[23] المخرج خ. ميدوف، والممثلين ل. آلويف، م. بولوف، س. كانيمگوتوف، ز. كانوكويف، ز. كاردانگوشيف، ب. سيبيكوڤا، ب. سونوف، م. سونوف، أ. توخوجيف، س. إركينوف وغيرهم. كانوا كوكبة رائعة من الرواد، الذين كتبوا أسمائهم بأحرف من ذهب في تاريخ الثقافة الروحية لشعوبنا.وشهدت ثلاثينيات القرن العشرين ولادة علوم الآداب القومية والنقد ونظريات الأدب. أسماء مثل جانسوخ نالويف، رئيس إتحاد الكتاب القبردي والبلقار[24] پ. شيكيخاچيف، آزريت بودايف، وغيرهم ،ويحمل اليوم مسرح القبردي الحكومي اسم مؤسس الأدب الشركسي السوڤيتي بلهجة القبردي ألي أسخادوڤيچ شوگينتسوكوف[25].

بنفس الوقت عندما كانت شعوب الإتحاد السوڤيتي مشغولة بالبناء السلمي كانت الأوضاع العالمية تتأزم من سنة لأخرى. تم إفتتاح نادي الطيران في نالشيك لتعزيز الروح الوطنية الحربية عام 1936م.

---

[17] ГОЭРЛО
[18] التنغستين- المترجم
[19] "مزرعة تعاونية" وعادة لاتترجم من الروسية لشهرتها -المترجم
[20] ضمن نطاق روسيا- المترجم
[21] ضمن نطاق الاتحاد السوڤيتي-المترجم
[22] "الكاتب السوڤيتي"-المترجم
[23] ГИТИС
[24] КБСП
[25] اسمه الشركسي, ألي أسحَد شوجينتسوكو- - المترجم

انقطع العمل السلمي للشعوب السوفيتية في 22 حزيران 1941 م. وبدأت الحرب الوطنية العظمى. وتحملت قلعة بريست أولى ضربات الفاشيست. وشارك في الدفاع البطولي عن قلعة بريست حوالي 100 من مواطني جمهوريتنا. واسم أحدهم تاهير جاپويف خُلد للأبد بكتابته على نصب-لوح أبطال بريست.

بعض الفدائيين المدافعين عن موسكو/من الپانفيلوڤين/ كانوا من قبارديناـ بلقاريا النقيب خانگيري إلوكوف والرقيب أخمينخان نالويف، ماگاميت زاليخانوف وكثير غيرهم.

كثير من أبناء جمهوريتنا كانوا من بين أعداد المدافعين الشجعان عن لينينغراد. قام الطيار المطارد من قوات الطيران البحرية أليم باپّسولتانوف من بلدة يانيكايا بـ 380 طلعة قتالية. وشارك في 45 معركة جوية فوق لينينغراد وتالين وخليج فنلندا ، حطم 10 طائرات عدوة بالإضافة إلى 13 طائرة عدوة بالمشاركة مع الرفاق الطيارين المقاتلين الآخرين. ومنح لقب بطل الإتحاد السوفيتي في 23 إيلول 1942م. لقاء الشجاعة التي أبداها. وبعد سنة تماماً أستشهد أ. يو. باپّسولتانوف في معركة جوية.

دفاعاً عن لينينغراد والبلطيق منح وسام لينين ووسام الراية الحمراء أربع مرات، طيار البحرية من قرية كوبا لشجاعته وبطولاته في المعارك الجوية حيث شارك بأكثر من 100 معركة جوية.

ودافعاً عن سماء لينينغراد المحاصرة آرسين كافويف و فلاديمر كافويف.وفي معارك لينينغراد قدم حياته كل من مورادين يڤگاجوگوف، خاجيسميل بورانوف وغيرهما.

قاد إسطول بحر الشمال ابن قبارديناـ بلقار من مدينة پراخلادني أ. گُلُفكو، مصطحباً تصريح إذن المرور المعطى له من منظمة الكومسومول وذهب ليخدم في الجبهة ومن ثم ترفع خلال سنوات الحرب بالمراتب العسكرية حيث أصبح أصغر أدميرال قائداً لإسطول بحر الشمال الحربي.

بمبادرة من العمال وضمن إمكاناتهم تم تشكيل لواء الخيالة القومي، الذي شارك بنشاط في ملحمة ستالينغراد استشهد كثير منهم ، ومن بقي حياً من هذا اللواء أكمل خدمته في القطعات والكتائب المختلفة. وعديد منهم وصل إلى برلين. قاد هذا اللواء- سكوروخود.

دخل الفاشيست إلى القفقاس في نهاية حزيران 1942م. جرت المواجهات على الجبهة خلف الغيوم في الجبال العالية ،كان العدو يسعى للعبور من ممرات سلسلة جبال القفقاس الرئيسية: وديان باخسان السحيقة. (هدف)

في 26 تشرين أول 1942م. وصل العدو بقواته الكثيفة الى نالشيك إثر معارك الدفاع عن عاصمة قبارديناـ بلقاريا التي استمرت 3 أيام. وبعد هذه المعارك الشرسة تخلت قطعات الجيش الأحمر عن مدينة نالشيك . دام الإحتلال مدة شهرين حيث لوث باللون الأسود تاريخ المدينة. تم تعذيب 4241 من السكان المسالمين في الجمهورية ،117 فقدو بيوتهم، خربت مدينة نالشيك.

في بداية آب 1942م. تم تشكيل 11 فصيلاً للأنصار على أراضي قبارديناـ بلقاريا: في مناطق براخلادني، نا گورنو-زولسكي، تيريسكو-كورپسكي، باخسانسكي، مايسكي، ليسكينسكي، أورڤانسكيي، وغيرهم. وحافظت هذه الفصائل على إتصالات وثيقة مع قيادة الجيشين التاسع والسابع والثلاثين ، وجرت عملياتهم القتالية على خط تماس الجبهة. شاركت الفصائل في المعارك ضد الفاشيست الذين احتلوا قسم من مناطق جمهوريتنا، تغلغلوا خلف خطوط العدو وقدموا لقياداتنا العسكرية معلومات ثمينة. و تصدوا لقوات العدو من مظليين وجواسيس التي كان يرسلها العدو الى خلف خطوط قواتنا.

تم منح 53 من قوات الأنصار في جمهوريتنا أوسمة وميداليات وأستلم 87 شخص منهم ميدالية «نصير الحرب الوطنية العظمى» من الدرجة الأولى والثانية.

في 22 كانون أول 1942م. شنت قوات الجيش الأحمر المتواجدة في القفقاس هجوماً على القوات المحتلة وخلال عدة أيام وصلت الى نالشيك. حررت المدينة في 4 كانون الثاني 1943م. وفي 11 كانون الثاني حررت كامل الجمهورية بواسطة قوات فرقة النخبة الأتوماتيكة التامانية الثانية بقيادة زاخاروف. أُلحقت بالقطعات العسكرية الهتلرية خسائر جسيمة بالأرواح وبالمعدات واضطرت للإنسحاب. مساء 4 كانون الثاني 1943م. إقتحمت القوات السوفيتية نالشيك وبمعونة قوات فصائل الأنصار تم تحرير عاصمة قبارديناـ بلقاريا في الصباح. فجَّر الفاشيست جميع الأبنية الكبيرة والجيدة وكذلك المصانع والمعامل. وخلال إنسحابهم أبدى الفاشيست مقاومة شرسة للقوات السوفيتية محاولين إعاقة تقدمها بشتى الوسائل مستخدمين خطوط الدفاع التي جهزوها مسبقاً وحقول الألغام المزروعة والمسورة بالأسلاك الشائكة.

في 5 كانون الثاني حررت مدينة پراخلادني، وفي 6 منه مدينة باخسان وغيرهما من المراكز السكانية. وفي 11 كانون الثاني 1943م. قامت قطعات الجيش الـ 37 بطرد الفاشيست من كامل أراض قبارديناـ بلقاريا. وقامت القوات السوفيتية بتحرير المناطق المتاخمة لإلبروس، وصعد متسلقي الجبال (الألپيين) إلى قمة البروس ورموا من هناك العلم النازي ورفعوا علم الإتحاد السوفيتي.

وشارك أبناء جمهوريتنا في تحطيم الآلية العسكرية اليابانية فمن بلدة نارتان كان توليا پازوڤ الضابط في الجبهة قد كتب على قصعته الألمنيوم « ميناء أرتور. وعلى شطآن المحيط الهادئ انتهى مسيري».

وفور تحرير الجمهورية من المحتلين الفاشيست بدأت أعمال إزالة آثار العدوان البربري. وفي نهاية عام 1943م. تم إعادة تشغيل محطة باخسان الكهرمائية التي وضعت على رأس القائمة لأهميتها: وإعيد إقلاع مجمع تيرنيآوز. لم تكفي التركتورات الموجودة للأعمال الزراعية فاستخدم المزارعون الأحصنة والثيران وحتى الأبقار. إشتغل المسنون والمراهقون. وبنتيجة الجهود البطولية لسكان الجمهورية إستعادت عجلة الإقتصاد دورتها من جديد في عام 1950م.

في ربيع عام 1944 وكان قد مر أكثر من عام على تحرير جمهورية قبردينا بلقاريا من المحتلين الفاشيست. ومع إلتآم جروح الجمهورية من آثار الحرب، استمرت وبتفاني في مساعدة الجبهة لدحر العدو.إنتظر الناس المعذبون نهاية الحرب والعودة للحياة السلمية العادية. لم يكن أحدٌ يتوقع في تلك الآونة أن يتم التحضير للتهجير. يَعتبرُ شعب البلقار يوم 8 آذار يوم حزن للشعب البلقاري. ففي مثل هذا اليوم قبل أكثر من نصف قرن مضى وبحسب مقررات "اللجنة الحكومية للدفاع" فقد تم ترحيل قسري لجميع البلقار من أراضي أجدادهم إلى مناطق بعيدة في كازاخستان وقيرغيزيا.

استخدم في عملية الترحيل 14 قطاراً إنطلاقاً من محطة نالشيك للقطارات وبلغ العدد الكلي للمرحلين البلقار 37713 شخصاً، وبشكل أساسي كانوا من الأطفال والنساء والشيوخ. لم تكن معهم أية أمتعة وكدسوهم بالمقطورات من 40 إلى 50 شخص في كل مقطورة. وفي الطريق الذي استمر 18 يوماً في عربات غير مجهزة، مات منهم 562 شخص من الجوع والبرد. تم تهجيرهم في وقت كان فيه كل رابع شخص من البلقار مازال مشاركاً في معارك الجيش الأحمر. كانت الحرب الوطنية العظمى بمثابة أقصى إختبار للمتانة تعرضت له دولتنا. هبت جميع الشعوب السوفيتية وبروح واحدة للدفاع عن الوطن، واعتبرت أن الحرب هي مهمة الجميع بدون تفريق بين القوميات أو الأديان. أمضى الشعب البلقاري في المنفى 13 سنة. تصف الوثائق اسلوب حياتهم وطرق عملهم في آسيا الوسطى في تلك الفترة العصيبة. وأُستعيدت العدالة في شباط 1957م. ، وفي 28 آذار1957م. صدر مرسوم عن رئاسة مجلس السوڤيت الأعلى لاتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوڤيتية بإعادة تسمية جمهورية قباردينا بلقاريا الاشتراكية السوڤيتية ذات الحكم الذاتي، وأعيد للشعب البلقاري حقه في العودة الى أرضه والعيش فيها بعد 13 سنة تهجير.

في سنوات ما بعد الحرب نشطت في قباردينا- بلقاريا السياحة الجبلية ورياضة تسلق الجبال . وتم بناء أعداد ضخمة من المراكز والمرافق السياحية، دور للراحة و مخيمات تسلق الجبال التي اكتسبت شهرة واسعة النطاق على كامل الإتحاد السوڤيتي .وأصبحت مدينة نالشيك إحدى مراكز السياحة في القفقاس.

في 5 نيسان 1957م. تم التوقيع على قرار رئاسة مجلس وزراء الإتحاد السوڤيتي بإفتتاح إحدى أوائل الجامعات في القفقاس الشمالي في مدينة نالشيك ،جامعة قباردينا بلقاريا الحكومية كمؤسسة للتعليم العالي متعددة الإختصاصات. في 1957م. وعلى شرف الذكرى 400 سنة لذكرى الاتحاد الطوعي لقباردا مع روسيا منحت الجمهورية وسام لينين للمرة الثانية. في موسكو جرت إحتفالات عقد[26] الثقافة والفن لجمهورية قباردينا بلقاريا. وفي نالشيك تم إزاحة الستار عن نصب لتكريس هذة المناسبة الكبيرة.

---

[26] العقد هو فترة العشر سنوات -المترجم